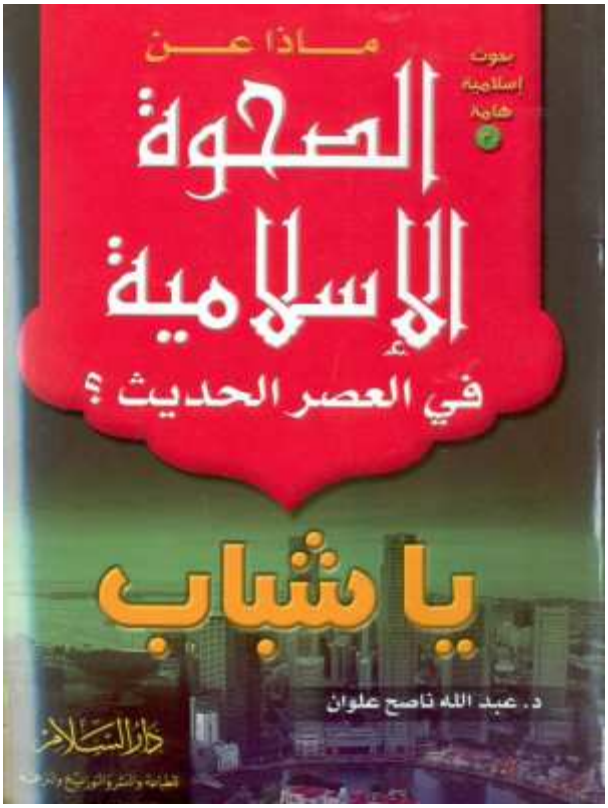

المحتوى

مقدمة المؤلف ٢
١) مقدمة وتمهيد ٤
٢) النقاط التي نتكلم عنها : ٦
أ- متى ابتدأ ظهور الصحوة ٧
ب- ما العوامل التي ساعدت على نموّها ؟ ١٠
ج- ما هي أظهر قطاعاتها في بلاد الإسلام ؟ ١٣
د- ما هي العقبات التي تقف في طريقها ؟ ١٥
ه- ما أهم إيجابيتها وسلبياتها ؟ ١٩
و- ما هي أظهر وسائل تنميتها وامتدادها ٢٤
ز- ما هو واجب الشباب المسلم نحوها ؟ ٢٩
٣) وأخيراً اسمعوها يا شباب ٣٤
٤) وفي الختام يا شباب ٤٧
٥) وهكذا يا شباب ٤٩

الإصدار الأول
www.abdullahelwan.net

ماذا عن الصحوة الإسلامية في العصر الحديث

إن طول الزمن لا يفقد احلّ الصحيح المركّز أهميته وإيجابيته . . وقصر الزّمن لا يعطي العمل المتهوّر المدمّر صفة الحق والصواب .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على الرّحمة المهداة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتَّابعين ممن رفعوا في سماء الإنسانية ألوية التَّوحيد ، والعدل ، والمساواة . . وعلى مَنْ نهج نهجهم ، واتَّبع سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد كنت ألقيتُ في الموسم الثّقافي في قاعة المحاضرات في جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٠٧ هـ محاضرة بعنوان :((**ماذا عن الدعوة الإسلامية في القرن العشرين؟**)) فَبعد المحاضرة نظرتُ في العنوان ، وفي الموضوع فوجدتُ أن الموضوع يتحدّث عن الصّحوة أكثر ممّا يتَحدث عن الدعوة .

فقلت : الأفضل أن يكون العنوان غير هذا ، فتأمّلت في الموضوع ، وقلّبتُ النظر في عناصره . . فبعد نظر وجدتُ أن العنوان المناسب : ((**ماذا عن الصّحوة الإسلامية في العصر الحديث ؟**)) .

ولما قدمتُ المحاضرة للطباعة والنّشر أثبتُّ العنوان الجديد ، وعدّلت في المحاضرة حذفاً وإضافة ، وتشذيبًا وتهذيبًا . . فجاءت المحاضرة - والحمد لله - محقّقة للفائدة موفية بالغرض، مستنهضة الهمم والعزائم . . عسى أن يقوم المسلمون جميعًا - ولاسيما الشّباب منهم - بدورهم العظيم في إنعاش الصّحوة ، وامتداد الدّعوة ، والتمكين في الأرض لعز الإسلام . .

وها هي ذي المحاضرة - أخي القارئ - بين يديك فأرجو من اللّه العليّ القدير أن تلقى من نفسك تجاوبًا وتفاعلًا ، لتنطلق على درب الدعوة والنصر . . وأنت أكثر عزمًا وتصميمًا ، وأعظم تعقلًا واتّزانًا ، وأفضل موضوعية وواقعية ، وأحسن تفهمًا لطبيعة المرحلة ، ومنطقية الظروف .

اللّه أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا جميعًا لخدمة الدّعوة ، ودعم الصّحوة ، وإعلاء كلمة اللّه . . إنه مولانا وناصرنا ، فنعم المولي ، ونعم النصير .

وأخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين

د . عبد اللّه ناصح علوان

١- مقدمة وتمهيد :

إن كثيرًا ممّن يحبّون سَبْرَ أغوار الحقيقة من شتى الاتجاهات الفكريّة والسياسية والعقيديّة في العالم يريدون أن يعرفوا المزيد عن الصّحوة الإسلامية التي أصبحت تُطلّ برأسها اليوم على بلاد الإسلام في كلّ مكان . . رغم الحكومات اللادينيّة التي تأخذ بخناقها ، وتلاحقها وتحاربها وتحول دون انتشارها وامتدادها . . ورغم مخطّطات الدول الاستعمارية والشيوعية ، والصهيونية العالمية ، والماسونية الخفيّة . . التي تستهدف استئصال الصّحوة ، وقلع جذورها من أرض الإسلام حتى لا يقوم للمسلمين قائمة ، ولا يرتفع لهم رأس ! ! .

والكلام عن الصّحوة الإسلاميّة في العصر الحديث يضطرّنا أن نميز بين عهدين :

الأول - عهد الغفوة والسّبات .

الثاني - عهد الصّحوة والعمل .

فعهد الغفوة . . يبدأ ظهوره من أواخر الحكم العثماني . . إلى إلغاء الخلافة . . إلى عشرين عامًا بعد الإلغاء . . فأمة الإسلام في هذا العهد كانت تغطّ في نوم عميق ، وما تدري المؤامرات التي كانت تُحاكُ ضدها ، ولم تكن تأخذ بأسباب النصر ماديًا ومعنويًا ، ولم تكن تفكر في توحيد جبهتها أمام قوى التآمر والاستعمار محليًا ودوليًا ، ولم تتحرّك أحاسيسها ومشاعرها . . لتقف على اختلاف مستوياتها صفًّا واحدًا بجانب الخلافة الإسلامية ، لتستأصل من أرض الإسلام شأفة التآمر ، وتردّ كيد العملاء والخونة والمستعمرين . . على أعقابهم خزايا نادمين مدحورين . .

فكان من نتائج هذه الغفوة أن استلم زمام الأمور في أكثر البلاد الإسلامية العلمانيّون ، فأصبح الحكم للعلمانيّة ، والتّشريع للبرلمان ، والسّيادة للقانون . . بل أطفئت - ويالللأسف - شعلة الخلافة

العملاقة الرائدة التي كانت تشرق على الدنيا بنورها وهديها ، وتُطلّ على العالم بشموخها وعزتها . .بل كانت الدول الكبرى تهابها ، وتخشى بأسها ، وتتصاغر أمام قوّتها ووحدتها ، وتحسب لها ألف حساب . .

أما عهد الصّحوة . . فكانت إطلالته على العالم الإسلامي بعد عشرين عامًا على وجه التقريب من إلغاء الخلافة ، حيث كانت دولة الإسلام الضّخمة العظيمة مجزّأة إلى دويلات صغيرة ، وكانت أكثر هذه الدّويلات محكومة من قبل حكّام لا دينيّين فصلوا الدين عن الدولة ، وأبعدوا الإسلام عن مناهج الحياة .

فكان من نتائج ردود الفعل هذه أن تقوم في - العالم الإسلامى - حركات إصلاحية ودعويّة تولّى زمامها رجال أخلصوا دينهم للّه وكرّسوا جهودهم للإسلام ، وعقدوا العزم على المضي قُدُمًا لإعادة التّاريخ والأمجاد . . بل أعلنوا على مسامع الدنيا شعار : الإسلام دين ودولة ، وعبادة وجهاد ، وأخلاق وسياسة . . **بل هو بالاختصار** : نظام حكم ، ومنهج حياة . .

وسوف يأتي الكلام عن هذه الحركات الدعوية المعاصرة بإلماحة مختصرة في موضع آخر من هذه المحاضرة إن شاء اللّه .

* * *

٢-النّقاط التي نتكلم عنها :

لكي نحيط ببحث الصحوة الإسلامية إحاطة شاملة ، ونتكلّم عنها بعمق واستيعاب يحسن التعرّض للنقاط التّالية :

أ – متى ابتدأ ظهور الصحوة ؟

ب – ما هي أهم العوامل التي ساعدت على نموها وانتشارها ؟

ج – ما هي أظهر قطاعاتها في بلاد الإسلام ؟

د – ما هي أهم العقبات التي تقف في طريقها ؟

هـ – ما هي أهم إيجابيّاتها وسلبياتها ؟

و – ما هي وسائل تنميتها وامتدادها ؟

ز – ما هو واجب الشّباب اليوم تجاها ؟

وسوف نتكلّم – بعون اللّه – عن كلّ نقطة من هذه النّقاط بشيء من التفصيل ، واللّه المستعان ، وهو وليّ التّوفيق .

أ - متى ابتداء ظهور الصحوة ؟

على أعقاب إلغاء الخلافة الإسلاميّة عام ١٩٢٤ م على يد العميل ((أتاتورك)) . . غاب الحكم الإسلامي عن كثير من بلاد الإسلام ، واتّجهت الحكومات التي كان بأيديها الزّمام إلى علْمَنة البلاد التي هي تحت سيطرتها ، ففصلت الدين عن الدّولة ، وأبعدت التشريع الإسلامي عن واقع الحياة . . فأصبحت السّيادة للقانون ، والتشريع للبرلمانات ، والحكم للعلمانيّة . .

وكان من نتيجة ذلك أن تشتّتت أمة الإسلام ، وتمزقت دويلات ، وحكمها عملاء ، وحل عليها الضّعف والوهن ، وأصبحت ألعوبة بيد الدّول الكبرى ، وعلى رأسها أمريكا وروسيا . .

ولعبت الماسونيّة العالميّة الخفيّة التي تديرها اليهوديّة دورًا كبيرًا في اجتذاب أصحاب النفوذ والجاه والغنى . . فاصطنعت منهم حكّامًا يأتمرون بأمرها ، وينفّذون مخطّطاتها بأساليب متنوعة ، وشعارات مطروحة . . يطرحون شعار الوطنيّة حينًا ، والتقدمية أحيانًا ويرفعون شعار القوميّة تارة ، والاشتراكيّة تارة أخرى . .

هذا عدا عن مناداتهم بشعارات : تحرير المرأة ، وتحرير العامل ، وتحرير الفلاّح . . إلى غير ذلك من هذه الشّعارات المطروحة ، والشّارات المرفوعة . . التي تستهدف صرف الجيل المسلم عن العمل للإسلام ، والمجاهدة في سبيله . . لينعطف بكلّيته نحو مبادئ وشعارات وأفكار . . ما أنزل اللّه بها من سلطان ، وبالتالي ليجري لاهثًا وراء الميوعة والإباحيّة والانحلال ! ! . .

* **فمن الطبيعي** بعد كارثة إلغاء الخلافة ، وتفتيت الدّولة الإسلامية إلى دويلات ، وطرح الشعارات المزيّفة ، وما ترتّب عليها من آثار وانعطافات في فكر الجيل المسلم ومعتقداته وتصوراته . .

فمن الطبيعي بعد هذا كلّه أن تنبثق في المجتمعات الإسلاميّة حركات ودعوات . . تنادي بالدعوة إلى حكم الإسلام ، والعمل على الأخذ بمبادئه في شتّى مجالات الحياة ، لتعود للمسلمين خلافتهم الإسلاميّة وأمجادهم التاريخيّة والسياسيّة . . .

فمن أشهر هذه الحركات : حركة ((الإخوان المسلمون)) في مصر ، وحركة ((الجماعة الإسلامية)) في باكستان ، وحركة ((التبليغ)) في الهند ، وحركة ((حزب التحرير)) في الأردن ، وغيرها من الحركات . . ولاشك أن حركة ((الإخوان المسلمون)) التي أسّسها **الإمام الشهيد حسن البنا** هي أوسع هذه الحركات انتشارًا وامتدادًا وشمولًا وحركيّة في العالم .

* **ومن الطبيعي كذلك** : أن ترتفع – نتيجة ردود الفعل هذه – في أجواء العالم الإسلامي شعارات : اللّه غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شريعتنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل اللّه أسمى أمانينا . .

وأن تطرح كذلك : شارات : الإسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وعبادة وسياسة ، ونظام حكم ، ومنهاج حياة . .

* **ومن الطبيعي أيضاً** أن تنبري في بلاد الإسلام هنا وهناك أقلام إسلاميّة مخلصة ، التصور الصحيح عن الإسلام في خصائصه ، وشموليّة مبادئه ، وعظمة تشريعه ، وفعاليّة عطائه . .

وتطالب أمّة الإسلام بالعودة إلى أصالتها في تميّز الشخصيّة الإسلامية ، وفي التزام المنهج الرّباني ، وفي النّهوض بمبادئ الدعوة ، وفي التحرّك الصادق للعمل على بناء العزة ، وتأسيس الدّولة ، والاحتكام إلى شريعة اللّه . .

فبناءً على ولادة هذه الحركات ، ورفع هذه الشّعارات ، وإعلان هذه النّداءا ت ، وانطلاق هذه الأقلام . .

استجاب الكثير والكثير من شباب الإسلام إلى دعوة الإسلام ، وانتموا إلى جماعات العاملين المخلصين ، وانطلقوا في ميادين الدعوة إلى اللّه مبلّغين هادين . . يبلّغون رسالات اللّه ، ويخشونه ، ولا يخشون أحدًا إلا اللّه .

فكان من نتيجة ذلك أن أطلّت الصحوة الإسلاميّة على العالم الإسلامي ، وظهرت آثارها في كلّ القطاعات العماليّة ، والطلّابية ، والنسائيّة ، والمهنية . .

فحيثما سرت تجد الشباب المسلم الملتزم بالدعوة ، وأينما توجّهت تجد الجيل المؤمن الذي يعطي ولاءه للإسلام ، وأينما التفتّ تجد المظهر الشّرعي المتميز ، والسّلوك الإسلامي الرّائد ! !

تجد كلّ هذا . . من شباب وشابّات آمنوا بربّهم فزادهم هدى . .

هل عرفنا كيف انبثق فجر الصّحوة الإسلاميّة على بلاد الإسلام ؟ وكيف تمت ولادتها في العالم الإسلامي في كلّ مكان ؟

* * *

ب – ما هي أهم العوامل التي ساعدت– على نموها وانتشارها ؟

و إذا أردنا أن نبحث في العوامل والأسباب التي دفعت بالأمّة الإسلاميّة أن تصحو من نومها ، وتهب من رقادها والتي أهابت بها أن تتحسّس واقع المسلمين ، وحالة البلاد والعباد . . فنجدها تتركز في ثلاثة عوامل :

الأول - العامل الدّعوي : سبق أن ذكرنا أنّه على أعقاب إلغاء الخلافة الإسلاميّة عام ١٩٢٤ م تأسست في العالم الإسلامي جماعات إسلاميّة مخلصة قامت تدعو إلى اللّه على هدًى وبصيرة ، وتعرف جيل الإسلام بالكارثة السياسيّة والدينيّة التي أطاحت بالخلافة ، ومزقت وحدة المسلمين ، وسيطرت على أكثر بلاد الإسلام حكومات علمانيّة لا دينيّة فصلت الدين عن الدولة ، وأبعدت التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ! ! . .

وسبق أن تكلّمنا أن **هذا حصل** بتدبير اليهودية ، ومؤازرة الاستعمار ، وتنفيذ العملاء والماسونية . . وركود العالم الإسلامي ، وقعوده عن أداء المسؤولية ، واستسلامه للأَحداث وتخلّيه عن الجهاد في سبيل اللّه ! !

وهذا التّعريف بالدعوة ، وتوعية المجتمعات الإسلامية على ما أصابها من وهن وضعف ، وما أحاط بها من مؤامرات وأحداث ، وما حل بها من تمزّق وانقسام . . قد قام عليه رجال من أصحاب الفكر والعلم ، وأرباب الدعوة والإصلاح . . حملوا بصدق أمانة الدعوة ، وانطلقوا بعزم في ميدان العمل الإسلامي . . ينشرون المعرفة ، ويبثون التوعية ، ويعرّفون بالإسلام . .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن لعامل الجماعات الإسلاميّة التي تأسّست ، ولظاهرة الفئات الدعويّة التي انطلقت . . كان له أكبر الأثر في انبثاق الصحوة الإسلامية على العالم ، وفي تنميتها وامتدادها وقيامها على أرجلها وفي انتشارها في أرض الإسلام في كل مكان .

الثاني - العمل الفكري : وسبق أن ألمحنا أنّ رجالات الفكر الإسلامي منذ نصف قرن من الزمان قد انقدح فكرهم ، وتحركت أقلامهم في إعطاء التصوّر الإسلامي الصحيح عن الكون والحياة والإنسان

، وفي إظهار خصائص الدعوة الإسلاميّة في شمولها وعالميتها ، وتجددها وعطائها ، ويسرها وواقعيتها ، ووسطيّتها وصلاحيتها . . ، وفي قدرة الشريعة على معالجة مشكلات المجتمع ، ومعضلات الاقتصاد ، وأوضاع السّياسة . . على مدى الزمان والأيام .

ومّما يثير الانتباه ، ويلفت النظر أن ظهرت على السّاحة الإسلامية كتب فكريّة ودعويّة ومتنوّعة . . في شتّى الاختصاصات الثقافية ، والتصورات الإسلامية ، والمعالجات الاجتماعية ، والرّدود العلمية ، والقضايا الدّعوية . . وقام على تأليفها ونشرها **رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه** كأمثال الشهيد حسن البنا ، والشّهيد سيد قطب ، والشّهيد عبد القادر عودة ، والمرحوم مصطفى السباعي ، والمرحوم أبو الأعلى المودودي ، والمرحوم مالك بن نبي ، وسماحة أبي الحسن الندوي والأستاذ فتحى يكن ، والدكتور يوسف و القرضاوي ، والأستاذ محمد قطب ، والأستاذ أنور الجندي والأستاذ عماد الدين خليل . . وعشرات غيرهم ، بل مئات . . فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً .

وها هي ذي المكتبات الإسلامية اليوم ذاخرة وممتلئة بآثارهم الفكريّة ، وكتاباتهم الدّعوية ، ومعالجتهم الاجتماعيّة . . فجزاهم اللّه عن الإسلام والمسلمين كلّ خير ، وأعلى منزلتهم في عليين . . ولاشك أن لعامل الفكر الإسلامي الأثر الأكبر في تنمية الصّحوة الإسلاميّة وامتدادها ، ودفع عجلتها إلى الأمام ، وفي قوّة انتشارها في أوساط المثقفين والشباب . .

الثالث - العامل النّفسي : ممّا لا يختلف فيه اثنان لدى أهل البصائر والأفهام :

- أن في انبثاق الدعوة الإسلاميّة التي حمل لواءها في هذا العصر رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه .

- وأنّ ما قرأه الجيل المسلم عن الإسلام في مقومات حضارته ، وصلاحيّة مبادئه وشمول أنظمته ، وواقعيّة أحكامه ، وعالميّة دعوته . .

– وأن ما يلجأ إليه الحكام العلمانيّون اللادينيّون من تطويق الحركات الإسلامية ، وملاحقة دعاتها ، والحد من نشاطها وامتدادها . .

– وأنّ ما يستشعره شباب الإسلام مما يعانيه العالم الإسلامي من تفكّك وانحطاط ، وتخلّف وتآمر ، وتمزّق وشتات . .

– وأنّ ما يحس به أبناء الإسلام ممّا أصاب المجتمعات الإسلاميّة من مظاهر التحلّل والميوعة والانحلال . .

– وأنّ ما حقّقه اليهود في قلب البلاد الإسلاميّة من أهداف ومطامع . . والتي أظهرُها اغتصاب المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين . .

– وأن ما آلت إليه أمّة الإسلام من ذلّة ومهانة واستعباد . . بعد أن كانت ترفُل في رياض العزة والكرامة والأمجاد . .

كل هذه الدوافع النفسيّة والإيمانية ، والقناعات الوجدانية والعقليّة . . مما أثار كوامن الجيل المسلم في أن يهبّ من رقدته ، ويصحو من كبوته ، وينفض عن كاهله غبار التّواني والكسل ، ويسير في طريق الدعوة والعمل . . ليعيد للأمة الإسلاميّة عزّتها السَّامقة ، وخلافتها الرّاشدة ، وكيانها الضخم العظيم . .

هل عرفنا أهمّ العوامل التي ساعدت على نموّ الصحوة الإسلاميّة وامتدادها في العالم الإسلامي ، وهل أدركنا الأسباب التي أدّت إلى اندفاع الجيل المسلم نحو العمل للإسلام ، والجهاد في سبيله ؟

* * *

ج – ما هي أظهر قطاعاتها في بلاد الإسلام ؟

لو ألقينا نظرة فاحصة في المجتمعات الإسلامية التي انبثق فيها فجر الصّحوة لوجدنا أن قطاع المتنورين والمثقفين من الطلبة والمعلّمين ، والمحامين والمهندسين ، وأرباب الفكر ، وأساتذة الجامعات . . هم أسبق الناس في الانتماء إلى الدعوة ، والانتظام في سلك الجماعات الإسلامية المخلصة ، والعمل في سبيل الإسلام . .

ذلك لأن هذه الطبقة المتعلمة المثقفة **هي أقدر من غيرها** في استيعاب حقائق الإسلام ، وإدراك خصائص الدعوة ومعرفة السرّ في خلود الشريعة ، ومواكبتها للزّمن المتطوّر والحياة المتجدّدة . . **وهي أقدر كذلك** على حمل الرسالة الإسلامية إلى النّاس ، وتعريفهم بالدعوة ، وإعطائهم التصوّر الصحيح عن الإسلام خالصًا من كلّ تحريف وغلوّ وشائبة . .

وهي على العموم أنضج الفئات عقلًا ، وأعمقها إدراكًا وأقدرها بيانًا ، وأقواها حجة ، وأثبتها جنانًا واحتمالًا . .

ولا يخفى على كلّ ذي عقل وبصيرة ما لقطاع المتنوّرين والمثقفين من أثر وتأثير على القطاعات الأخرى من فلّاحين وعمال ، وأرباب مهن وأعمال ، وعامّة ، ورجال أحياء . .

ولا يخفى كذلك ما لتأثير النّساء المتعلّمات الداعيات على بنات جنسهنّ من تعريف بالدعوة ، والتزام بالإسلام . .

فما تقدّم يتبيّن أن القطاع الأول الذي صحا من غفوته ، وهبّ من رقدته ، واقتنع بالإسلام ، وسار في طريق الدعوة إلى اللّه . . **هو قطاع المثقّفين والمتعلّمين** . . وقد انعكس تأثير هذا القطاع على القطاعات الأخرى . . بفضل التوعية ، والتعريف بالدّعوة ، والتحرّك الصّادق في مجال العمل لإعزاز دين اللّه . .

من أجل هذا رأينا معالم الصحوة الإسلامية تنتشر في كلّ القطاعات والفئات . . وها هي ذي سائرة على درب العز والمجد ، إلى أن يأذن اللّه بنصر مؤزّر ، ووحدة شاملة ، وفتح مبين .

هل عرفنا أظهر القطاعات التي انبثق منها فجر الصّحوة ؟ وهل علمنا الفئات التي ساعدت على نموها وامتدادها في بلاد الإسلام ؟

* * *

د - ما هي أهمّ العقبات التي تقف في طريقها ؟

من الملاحظ في عالم الواقع أن الصحوة الإسلامية التي أطلّت برأسها على العالم في هذا العصر تعترض مسيرتها عقبات وعقبات ، وتقف دون تقدّمها حواجز وحواجز . .

وها نحن سوف نتعرّض لأهم عوائقها وحواجزها ، واللّه المستعان ، وعليه التّكلان :

من هذه العقبات عقبة الحكومات العلمانيّة : هذه الحكومات اللادينيّة ، ولا سيما المرتبطة منها بالفكر الماركسي ، أو الفكر الغربي . . تقف من الحركات الإسلاميّة ، ومن الدعاة . . موقف العداء والمحاربة ، فحينًا تتّهمهم بالتآمر على نظام الحكم ، وتارة تنسب إليهم المغالاة والتطرّف ، وأخرى تلصقُ بهم تهمة الجرائم والإفساد في الأرض ، ، ورابعة ترميهم بالعمالة للأجنبي ، وخامسة . . وسادسة . . كلّ ذلك من أجل أن تتّخذ المبررات لملاحقتهم واعتقالهم . . أو التجريد من وظائفهم ، أو نفيهم عن أوطانهم ، أو استئصال حركتهم ودعوتهم . .

وقد تكون هذه الأزمة الخانقة التي يمرّ بها الدّعاة أحيانًا عاملًا في إنعاش الصحوة ، وسببًا في إقبال الجيل المسلم عليها . . **وهذا ما نلحظه فعلًا** في بعض المجتمعات الإسلاميّة التي بلغ فيها الاضطهاد الدّعوي أشدّه ، ووصلت المحنة في الدّعاة والحركات الدعويّة والعلماء . . إلى أسوأ ما يتصوّره إنسان ! ! . .

وعلى كلّ الأحوال فعلى عقلاء الجماعات الإسلاميّة في كل مكان أن يدركوا أنّهم في هذه الحال ، من الشدّة والأزمة أشبه ما يكونون بحال الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، وحال أصحابه رضي اللّه عنهم **وهم في الفترة المكّية** ، فلم يؤذن لهم بهذه الفترة بقتال ، ولم يؤمروا بمقاومة . . وإنما كان التّركيز على التربية والإعداد ، والتجلّد أمام المحن والأحداث ، ونقض تصوّرات الجاهلية بمعتقداتها الفاسدة ، وعاداتها السّافلة . . وكان التّركيز كذلك على التّخطيط لإقامة دولة إسلاميّة في تهيئة مهجر جديد ، منه تكون الانطلاقة في سبيل اللّه والإسلام . .

فعقلاء كلّ حركة إسلاميّة حين يتأسّون بنبيهم صلى الله عليه وسلم في المنهج الذي أقام نفسه وأصحابه عليه وهم في مرحلة ما قبل الهجرة . . وحين يتمنعون في هذه المرحلة عن أي قتال أو مجابهة . . وحين يركّزون على التربية والإعداد . . وحين يتذرعون بالصبر والمصابرة . . وحين يخطّطون للمستقبل بورقة عمل مركّزة ، مستتبعة المراحل ، متّصلة الحلقات . . فيكونون فعلًا قد ساروا على درب صحيح ، ووصلوا إلى غاية مثلى ، وأقاموا للمسلمين عزًّا تليدًا ، ومجدًا عريضًا ، وكيانًا مرموقًا . .

*** ومن العقبات عقبة العمالة الظاهرة للأجنبي** : هذه العمالة هي في الواقع عمالتان :

الأولى - عمالة الأحزاب الضآلة المرتبطة : علنًا بالشيوعيّة ، أو الاستعمار ، أو الماسونيّة . . فالقائمون على هذه الأحزاب من أولى مهماتهم في بلاد الإسلام : التّشويش على الحركات الإسلاميّة ، والتّشكيك بدعاة الإسلام ، وعلماء الإسلام فلا يتورّعون أبدًا في أن يلصقوا بهم أقذع التّهم ، وأن يرموهم بأقبح الصّفات . . ليتخلّى الناس عنهم ، وينفروا منهم ، ويعرضوا عن دعوتهم ! ! . .

الثانية - عمالة الحكّام الخونة : الذين أعلنوا عن أنفسهم أنّهم ماركسيّون ، أو اشتراكيّون ، أو صهيونيّون ماسونيّون . .

فهؤلاء جميعًا يقفون من الصّحوة الإسلاميّة ، والتحرّكات الدّعوية . . موقف العنف والبطش . . حتى لا يرتفع لداعية رأس ، ولا يظهر لجماعة وجود ، ولا تقوم للمسلمين قائمة . .

ويا ويل من يتحرّك للإسلام ، ويدعو إلى اللّه في عهد هؤلاء . . فإنّ مصيره السجن ، أو القتل ، أو النّفي ، أو التعذيب الذي يفضي إلى الهلاك ! ! .

وهذه العمالة الظالمة الملحدة هي من أشدّ العقبات في طريق الصّحوة ومن أقوى العوامل للحيلولة دون نموها وامتدادها ، ومن الصعوبة بمكان أن يجد الدعاة إلى اللّه سبيلًا إلى العمل الإسلامي في ظلّ هذه العمالة الباغية الخائنة الوقحة . . اللهم إلا إذا قدّر العاملون للإسلام طبيعة المرحلة ، واتّهجوا ورقة

عمل في الخفاء تضمن لهم سلامة المسيرة الدّعويّة ، وتحفظهم من كيد الأعداء ، وتصرف عنهم كيد الخائنين ، ومكر المتآمرين ، وبغي المعتدين . .

وسبق أن سلّطنا الأضواء على ما اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم من خطّة عمل في الفترة المكّية لتكون للدعاة في كل زمان ومكان منارًا ونبراسًا حين تكتنفهم محنة ، وتمر بهم شدّة ، وينزل بهم بلاء ! ! :

* **ومن العقبات عقبة العفويّة والارتجال :** قد يتاح للحركات الإسلاميّة في بعض البلاد أن يأخذوا حرّيتهم في تبليغ الدعوة ، وأن يتنشّطوا في متابعة مسيرة الصّحوة . . ولكن عفويّتهم في العمل ، وارتجالهم في التّخطيط . . من الأسباب التي تعوق مسيرة الدعوة الإسلاميّة في القطاعات الشعبيّة والعمّالية والتعليميّة والنّسائيّة . .

لذا كان التخطيط للدعوة ، والتّنظيم لمسيرة الصّحوة . . من أهمّ ما ينبغي أن يهتّم به الدّعاة والعلماء والجماعات الإسلاميّة . . إن أرادوا لدعوة الإسلام الانتشار ، ولصحوة الجيل الامتداد ولرسالة السّماء الانتصار والسّيادة . .

* وقد يكون من **التخطيط** السير بالدعوة الإسلامية على مراحل :

تبدأ المسيرة بالتكوين التربوي .

ثم تنتقل إلى التبليغ الدّعوي .

ثم تتّجه إلى التّجميع الشعبي .

ثم تنتهي إلى القاعدة الصّلبة . .

* وقد يكون من **ورقة العمل** التي تسير على أساسها الحركات الإسلامية ، ويعتمدها الدّعاة :

* **دراسة البيئة التي تبلّغ فيها الدعوة .**

* **معرفة مراكز الضلال وأنواع المنحرفين .**

* **معرفة أسلوب العمل الذي يتفق مع عقليّة الناس .**

*** الاعتماد على وسائل التبليغ في كلّ انطلاقة دعويّة .**

*** بذل الجهد في إقناع المدعوين بأن ينتموا إلى جماعات المسلمين المخلصة .**

ولعلّ المسارعة إلى إصلاح عيوب المسلمين ، واستكمال نقصهم ، وتوحيد جهودهم ، وجمع كلمتهم . . هي البداية لكل عمل إسلامي ، ومسيرة دعويّة . .

وهكذا لا تنجح الدّعوات المخلصة في العالم الإسلامي إلا بتخطيط مبرمج ، وتنظيم مركز ، ومسيرة واعية ، وورقة عمل مستتبعة مراحلها ، متّصلة حلقاتها . .

ذلك لأن ظاهرة العفويّة والارتجال لا توصل إلى غاية ولا تفضي إلى نتيجة ، ولا يُرجى منها خير . . بل كلّ من يتّصف بها ، ويقع في حبائلها لابدّ أن يُمنى بفشل ذريع ونكسة يائسة مُقعِدَة . . واللّه سبحانه من العاملين المخلصين الذين يأخذون بالسُّنن ، ويعتمدون – بعد اللّه – على الأسباب . .

وهناك **عقبات أخرى** [1] كثيرة قد يطول ذكرها واقتصرنا في هذه المحاضرة على ذكر أهم العقبات لكونها ترتبط بالصّحوة ارتباطاً مباشرًا حتى يقوم الدّعاة على تذليلها ويتغلّبوا عليها ، ويأخذوا بالمنهج الأفضل في تجاوزها والأخذ بخناقها واستئصالها . . ومن يخلص للّه في عمله يهد قلبه ويفتح له من الحلول والإيجابيّات ما يوصله إلى المرتقى السّامي ، والغاية المثلى ، والفتح المبين . .

هل عرفنا العقبات التي تعترض الصّحوة الإسلاميّة ؟ وهل أدركنا الحلول لها ، وورقة العمل التي ينبغي أن يسير الدعاة عليها ؟

* * *

١) من أراد أن يعرف المزيد عن هذه العقبات ، ويطلع على الحلول ال التي ترتبط بها فليرجع إلى فصل عقبات في طريق الدعاة بقسميه الأول والثاني للمؤلف فإن فيه ما يشفي الغليل إن شاء اللّه.

هـ – ما هي أهم إيجابيّاتها وسلبيّاتها ؟

نعم نقول : إن لهذه الصحوة الإسلاميّة التي أشرق نورها على العالم الإسلامي إيجابيّات طيبة . . وتتائج حسنة . . يرتاح المؤمنون لها ويحسنون الظنّ بها ، ويعقدون الأمل عليها . . وإنّ لها في الوقت نفسه سلبيّات سيئة ، ومشكلات خطيرة . . يخشى أهل الوعي والبصيرة منها ، ويخافون وقوعها ويحسبون ألف حساب لها . .

وها نحن أولاء سوف نذكر أهم إيجابياتها لعلّ عقلاء الحركات الإسلاميّة يأخذون بأفضلها وأحسنها ، ثم نعرّج – بعونه تعالى – إلى سلبيّاتها لعلّ العاملين للإسلام يأمنون مزالقها ، ويتجنّبون محاذيرها ومخاطرها . . والله الموفّق والهادي إلى سواء السّبيل .

أما عن أهمّ إيجابيّاتها :

* فإنها البداية الطيّبة لانطلاقة الدّعوة الإسلاميّة في مجاهل الأرض ، وإشراقتها على الدنيا ، وإنقاذ العالم من ضلال العقائد ، ومفاسد الأخلاق ، وشرور الحروب . .

* وإنّها الظّاهرة المؤمّلة في استعادة الوحدة الإسلاميّة الشاملة ، لتطلّ برأسها على العالم الإنساني من جديد . .

* وإنّها العامل الأكبر في ردّ المسلمين في المشارق والمغارب إلى اللّه ، والتزامهم بالإسلام ، وعودتهم إلى الدنيا خير أمّة أُخرجت للنّاس . .

* وإنها السّبب الوحيد في التّخفيف من الجرائم ، والحد من الفوضى ، والقضاء على مظاهر الفساد والانحلال ، ونشر الأمن والاستقرار والسّلام في كلّ مكان . .

*و إنّها الباعث الأعظم في إخراج علماء ونبغاء وعباقرة . . يقيمون في الأرض حضارة إنسانيّة من أزهى الحضارات ، ومدنيّة إسلاميّة من أجمل المدنيات . .

بل إيجابيّات الصّحوة على العموم هي : مبعث نهضة ، وانبثاق حضارة ، وهداية أمّة ، وتحقيق سلام ، وبناء دولة ، واستعادة تاريخ ، وتكوين وحدة . .

وأما عن أهمّ سلبيّاتها :

* **فهي أن يتعجل شباب الصّحوة النّصر** : وقبل أوانه ، قبل الأخذ بسُننه وأسبابه . . وربما يعترضون – إن تعجلوا – لأدهى المصائب ، وأسوأ العواقب . . بل يكونون في تعجلهم هذا سببًا في إيقاف عجلة الصحوة . . وتجميدها ، والحيلولة دون انتشارها وامتدادها . . بل يعرضون الحركات الإسلامية للسّحق والاستئصال ، وملاحقة رجالها ، والتّنكيل بدعاتها . . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا . . ومن القواعد الفقهيّة التي قعّدها الفقهاء : ((من تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه)) .

ورحم اللّه الإمام البنا حين وقف مرة يحذّر شباب الدعوة من أن يتورّطوا في استعجال النصر قبل الأخذ بأسبابه : (. . فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقطف ثمرة قبل أوانها . . فلست معه بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدّعوة إلى غيرها من الدّعوات ، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشّجرة ، وتصلح الثّمرة ، ويحين القطاف . .فأجره ذلك على اللّه ، ولن يفوتنا وإيّاه أجر المحسنين ، فإمّا النّصر والسّيادة ، وإما الشّهادة والسعادة) .

نعم ، حين تورّط بضع عشرات من الشباب في بلد إسلامي في حمل السلاح لمقاومة حكم باطني إلحادي . . دون أخذهم بسُنن النّصر وأسبابه فقد أوصلوا البلاد والعباد ، والحركات الإسلامية إلى أسوأ النّتائج ، وأوخم العواقب ، وأقبح النهايات ! ! .

ألا فليعتبر شباب الصّحوة اليوم بسلفهم ، وليحذروا من أن يتورّطوا بمجابهة أو سلاح كما تورط غيرهم ، وليقدّروا دائمًا حراجة الموقف ، وطبيعة المرحلة في تعاملهم مع الحكم ، وليسيروا في طريق العمل المركّز ، وليأخذ بمراحل ورقة العمل مرحلة بعد مرحلة . . إن أرادوا أن يعملوا لمجد مؤثّل ، وكيان مرموق ، وعزّة سامقة . . ولن يفوتهم إن شاء اللّه أجر العاملين المخلصين .

* **ومن سلبيّات الصحوة** أن ينطلق شباب الإسلام إلى العمل الإسلامي ، والتبليغ الدّعوي . . بلا إعداد ولا تربية ، ولا تخطيط ، ولا تنظيم ولا مناهج ولا خطّة عمل . . وإنما يقتصرون في العمل على

الوقفات الخطابيّة الجماهيريّ ة التي تعتمد على تأجيج العواطف ، وتحريك أوتار القلوب ، وإلقاء المواعظ والكلمات والدّروس . .

وهذا – ولا شك – إن لم يستتبعه الاصطفاء والاختبار للانتماء إلى الدعوة ، وتكوين المنتمين المنتقين دعويًّا وتربويًّا وحركيًّا . . فإن الصحوة تمنى بالتلاشي والزّوال والانهزامية . . في أول ضربة توجّه إليها ، وفي وقوع أيّ محنة تنزل بساحتها ! ! .

وأين لهم الصبروالمصابرة ، والتجلّد والثّبات . . وهم لم يتربّوا إيمانيًّا ، ولم يتكوّنوا نفسيًّا ، ولم يأخذوا بأسباب التّربية والإعداد ؟ ! !

* **ألا فليفهم شباب الصحوة** هذه المعاني ، وليعملوا جاهدين في أن يأخذوا بمنهجيّة الإعداد الدّعوي ، والعمل الحركي . . إن أرادوا لمسيرتهم على درب الإسلام النجاح والتوفيق ، والعز والنّصر ؟ . .

* **ومن سلبيّاتها** أن يتقاعس شباب الصحوة عن مواصلة عملهم في التوعية والتبليغ ، والإعداد والتّركيز . . ظنًّا منهم أن الصّحوة أخذت مسيرتها في الانتشار والامتداد . . وتحسبًا أيضًا أنّها تسير بنجاح واطراد ، ولابد أن تصل في نهاية المطاف إلى العزّة القعساء ، والنصر الأكبر . . يظنون هذا ويحتسبونه دون أن يدور في تصوّرهم أن للصّحوة أعداء عتاة أشدّاء يتربّصون بها الدّوائر لسحقها واستئصالها ، وملاحقة قادتها ودعاتها ، والتّنكيل برجالها وشبابها . . وربما يؤخذون من قبل عدوّهم على حين غرّة من حيث يعلمون أو لا يعلمون .

ألا فليحذر شباب الصّحوة التقاعس عن مواصلة العمل الإسلامي ، والقعود عن متابعة المسيرة الدّعوية . . وليضعوا خطة عمل على أسس من الموضوعيّة والمرحلية ، تنطلق على ضوابط من التعقّل والاتّزان . . ليأمن من يقوم على أمر الصحوة من النّوائب ، ويسلم من العواقب . . ؟ .

* **ومن سلبيّاتها أن يغتر شباب الصّحوة بأنفسهم** ، ويظنّوا أنّهم الأوصياء على هذه الدّعوة ، والقادة لهذة الأمّة ، والقائمون على أمر الإسلام . .

وأحياناً يصل الغلوّ والتطرف في بعضهم أن يعتقدوا أن منهجهم في التصور الإسلامي ، والمسائل الاعتقاديّة ، والاجتهادات الفقهيّة . . هو من أفضل المناهج على الإطلاق . . فلا يجوز لأحد – في نظرهم – أن يوجه لهم أيّ نقد ؟ أو يقدّم لهم أيّ نصح ؟ أو يخطّئهم في أية مسألة ؟ ولو أدى بهم الأمر أن يكفّروا المسلمين جميعًا ، وأن يضلّلوهم فيما ذهبوا إليه في اتّباع الأئمة الثقات ، والسّلف الصَّالح ! ! .

وهذه الظاهرة المرضيّة من الاغترار والغلو هي في نظر المتبصّرين العقلاء – من أعظم السلبيّات التي تؤخّر مسيرة الصّحوة ، وتوقف عجلة الدعوة ، وتوقع المسلمين في بلبلة فكريّة ، وفوضى اجتماعيَّة ، وحزازات نفسيّة . . بل إن استفحل أمرها ، وتفاقم شرها مزّقت أمّة الإسلام شرّ ممزّق ، وأوقعتها في صراعات وخصومات لا يعلم مداها إلاّ العليّ القدير ! ! . .

* **ألا فليع عقلاء الدعوة الإسلامية** هذه الظاهرة الخطيرة في شباب الصّحوة . . ويعالجوا فيهم آفة العجب والغرور ، ومرض الغلوّ والتطرّف . . وليخطّوا لهم المنهج الإسلامي الذي يأمر بالوسطيّة والاعتدال ، ويدعو إلى الأخوة والتعاون . . ليسيروا على مبادئه ، ويتقيّدوا بضوابطه ، ويهتدوا بهداه؟ . .

تلكلم أهم الإيجابيّات التي ينبغي على رجال الدعوة ، وشباب الصّحوة . . أن يتقيدوا بها ، ويسيروا على أساسها – وأهم السّلبيّات التي يجب على كلّ عامل للإسلام ، مجاهد في سبيله . . أن ينفر منها ، ويعرض عنها . . إن أرادوا لأمّتهم الوحدة ، ولإسلامهم العزة ، وللبلاد الإسلاميّة الكيان العظيم .

هل عرفنا إيجابيّات الصّحوة ، وسلبيّاتها على صعيد العمل الإسلامي ؟ وهل أدركنا أن اتباع الإيجابيّات ، وتجنّب السلبيّات هو من العوامل الكبرى في نجاح الدّعوة الإسلاميّة ، ووصولها إلى النّصر والسيادة ؟

* * *

و - ماهي أظهر وسائل تنميتها وامتدادها ؟

إن أيه دعوة من الدّعوات لا يكتب لها النّجاح والتّوفيق ، ولا تسير في طريق العزة والازدهار . . حتى يضع المسؤولون عنها خطّة عمليّة ، ووسائل إيجابيّة . . يعتمدون عليها في دفع المسيرة نحو الكمال المنشود ، والغاية المرجوة .

وكذلك **ظاهرة الصّحوة** التي أشرقت شمسها على الدّنيا فإنها لا يكتب لها البقاء والامتداد ، ولاتصل إلى العزّة والمجد . . حتى يأخذ رجالها والقائمون عليها بكل أسباب التنمية ، ووسائل القوّة ، وسنن التقدّم ، ومراحل الإعداد .

وإليكم أهم الوسائل في تنمية الصّحوة وامتدادها :

أولاً - إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة التي منها تكون الانطلاقة في طريق الدعوة ، والتي على يديها تنمو وتزدهر الصّحوة ، والتي بتركيزها ومرحليّة عملها تتحقّق العزّة للإسلام .

وأقصد بالجبهة الإسلاميّة أن يتلقي المخلصون من رجالات الدعوة والعلم والإصلاح . . على صعيد العمل الإسلامي ، ويكوِّنوا فيما بينهم قيادة جماعية ، والتي من أولى مهماتها وضع خطّة عمل إيجابيّة ذات مراحل وأهداف . . منها تنطلق ، وعليها تعتمد ، وعلى مراحلها تسير . . حتى إذا انتهت من مرحلة بدأت بأخرى بكل دقّة وموضوعيّة واتّزان . . وهكذا حتى تصل إلى هدفها الأكبر في بناء المجد ، وإشادة العزّ وإقامة وحدة المسلمين . .

ثانيًا - الاستفادة من تجارب الدعاة والدعوات في الماضي والحاضر ، حيث يدرس القائمون على أمر الصحوة ، ومرحليّة الدعوة أوضاع هؤلاء الدعاة ، ومسيرة هذه الدعوات . . فإن رأوا الثّلمة ظاهرة ، والسلبيّة قائمة . . أخذوا منها العظة والعبرة ، وجنّبوا في المستقبل العمل الإسلامي كل عقبة كؤود ، وكلّ خطر محقق . . وإن رأوا خطّة العمل محكمة ، والإيجابيّات متحققة . . أخذوا بأحسنها ، ومشوا على هديها . . وبهذا يكونون قد أحكموا المسيرة ، وأتقنوا الخطّة ودفعوا بعجلة الصّحوة إلى الأمام . . ويكونون في الوقت نفسه قد أمنُوا في العمل الإسلامي المثالب والسلبيّا ت . . وساروا في

ضوء المحاسن والإيجابيّات على هدًى وبصيرة ، وورقة عمل سليمة ، ومراحل في الخطوات محكمه ومتّزنة . . إلى أن يأذن اللّه بنصر مؤزر قريب .

ثالثًا - الاستعانة بوسائل الإعلام الحديثة من تمثيل ، ومسرح ، وأفلام ، وصحف ، ونشرات ، وشرائط (كاسيت) ، وكتب فكريّة ، وعقد مؤتمرات وندوات ، وإقامة خطب ومحاضرات فكل هذه الوسائل تستهدف رد المسلمين إلى دينهم وتوعية شباب الإسلام عما يخطط أعداء الإسلام لأمتهم وبلادهم ، وإعطاء التصوّر الصحيح للمنهج الإسلامي الذي حقّق العزة والسّيادة لآبائهم وجدودهم . .

هذا عدا عن أنّها تبصّر الجيل المسلم بدوره الكبير في حمل رسالة الإسلام ، وتحرك عزائم الشباب الفتيَّة في مناهضة المؤامرات والتحدّيات ، وترتبط الأمّة الإسلاميّة بالبطولات والأمجاد . . وتهيب بأبناء الصّحوة أن يعطوا القدوة الصّالحة في مجال التطبيق والالتزام . .

رابعًا - التحرّك الصّادق بالدعوة الإسلاميّة فرديًّا وجماعياً في جميع قطاعات الشعب وفئاته للتعريف بخصائص الدعوة ، ومقوّماتها الحضاريّة . . وأنظمتها العالميّة ، ومبادئها المعطاءة المتجدّدة ، وجوانبها الشمولية المتعددة ، حتى تفهم الأمّة الإسلاميّة على اختلاف مستوياتها حقائق الإسلام المتجسدة في مبادئ التشريع ، وأنظمة الحكم ، ومعطيات الزّمن ، ومناهج الحياة .

ولابدّ لها بعد الإيمان ، الإقناع بعظمتها . . أن تنادي بالإسلام دينًا ودولة ، مصحفًا وسيفًا ، وعبادة وجهادًا وعقيدة وسلوكًا . . ولابدّ لها أيضًا بعد تفاعلها مع الصحوة ، وانطلاقتها مع الدعوة ، جهادها في سبيل الإسلام . . أن تصل – بتوفيق اللّه – إلى نصر مؤزّر ، ومجد تليد ، وعزّة سامقة . .

خامسًا - مطالبة المسؤولين في كلّ مجتمع يدين أهله بالإسلام بإغلاق دور الخمر والقمار ، واستئصال مواخير الدّعارة والفاحشة ، والقضاء على مظاهر الميوعة والانحلال ، وسدّ كلّ ذريعة تؤدّي إلى الجريمة والانحراف . . ذلك لأن هذه المفاسد الاجتماعيّة إن انتشرت واستفحلت في بلاد الإسلام دفعت الشباب الفارغ من العقيدة والخُلق أن يلهث وراء الجنس والشّهوة ، وأن يتمادى في طريق الفسوق والعصيان ، وأن يصر على اقتراف المعصية والمنكر ! ! .

وفي استئصالها والقضاء على مظاهر وجودها تجعل في شباب الأمّة الإسلاميّة قابليات واستعدادت لأن يتحولوا إلى الإسلام ، وأن يتفهموا روح الحقيقة ، وأن يتقبلوا معالم الحق ، وأن يستجيبوا للّه وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم . . وفي ذلك طهرهم وسعادتهم الروحيّة ، وتكوين شخصيّتهم الإسلاميّة ، وإعداد حياتهم التربويّة ، وتهيئتهم للعمل في سبيل الإسلام ، والجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه .

سادسًا - مطالبة وزارات التربية والتعليم في كل مكان بأن يزيدوا من ساعات التربية الإسلاميّة في جميع مراحل التعليم حيث لا تقلّ عن حصة واحدة في كلّ يوم ، ولا يكفي زيادة الحصص ، بل ينبغي أن يشرف على وضع المناهج وتأليف الكتب أساتذة أكفاء من أهل الغيرة والاختصاص والوعي لتأتي الكتب التي إليها الناشئ المتعلّم متواكبة مع حقائق العلم ، ومتلائمة مع حضارة العصر ، ومتّفقة مع عقليّة المثقفين المتنوّرين ، وهادفة كذلك إلى تكوين الشخصية الإنسانيّة المتكاملة التي ينشدها الإسلام .

كما على كلّ من يهمه أمر الإصلاح والدعوة والعمل الإسلامي . . أن يطالبوا المسؤولين في الدولة بأن يقوموا بواجبهم الأمثل في تكوين لجان متخصّصة واعية من رجالات العلم والفقه ، لتنظر في المناهج التعليميّة ، والكتب الدّراسية . . نظرة فاحصة مستوعبة ، فإن رأت فيها ما يتنافى مع عقيدة الإسلام ، وما يغمز بشخصيّات العظماء ، وما يمسّ التاريخ والأمجاد . . دفعت ما لاحظته إلى من بأيديهم الأمر لاتخاذ الإجراءات الحاسمة في تطهير المناهج والكتب من كلّ ما يشوبها من تشويهات وتشكيكات ودسائس . .

ولاشكّ أنّ دعاة الإصلاح ، وروّاد الحركات الدعويّة في كلّ مكان إذا وصلوا إلى هذه النتائج في زيادة الحصص الإسلامية ، وفي تطهير الكتب التعليميّة . . فيكونون حتمًا قد دفعوا عجلة الدعوة الإسلاميّة إلى الأمام ، وصعّدوا من ظاهرة الصّحوة الإيمانيّة في أوساط الشباب ، وتفهمت أمّة الإسلام حقائق دينها ، وهدي ربّها ، وعادت خير أمّة أخرجت للنّاس .

وفي ذلك بارقة أمل وإشراقة تفاؤل في بناء عزة الإسلام .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاب المسلم حين يسمع من ملحد أفّاك ، وحاقد مضلّل كلمات الغمز واللّمز والطّعن على نظام الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، وتاريخ الإسلام . . فعليه أن ينتفض أمامه كالأسد الهصور ، ليوقفه عند حده ، ويصغّر من شأنه . . ، ويجعله عبرة للآخرين . . ولو أدّى به الأمر إلى أن يتعرّض لأشدّ البلاء ، وأقسى المحن ! ! .

والغضبة الشجاعة للّه تتأكّد أكثر وأكثر حين يسمع المثقف المؤمن من بعض من يتلقّى منهم العلم في الثانويّات والجامعات . . ما يمسّ بالعقيدة ، ويطعن بالنظام الربّاني ، ويغمز بتاريخ الإسلام ، وينال من عظماء الرجال . .

وفي مثل هذه المواقف تحلو الفدائيّة ، وتتوجّب التضحية ويُستطاب الأذى في سبيل اللّه ! ! .

وفي تقديري أن الغيورين من رجال الدعوة والإصلاح حين يصلون بجهدهم وعزائمهم إلى تنفيذ هذه المطالب التي أعربنا عنها ، وفصّلنا فيها . . وحين يقفون مثل هذه المواقف التي يجب أن ينهضوا بها ويؤدّوها حقّ أدائها . . فإن المسيرة التعليميّة في المجتمعات الإسلامية تطهّر – لا محالة – من كلّ دسيسة مغرضة على الإسلام ، ومن كلّ ملحد أفّاك يفتري على النبي عليه الصلاة والسلام . . ويكونون في الوقت نفسه قد حرروا الجيل الإسلامي من سموم الغزو الفكري ، ومن شوائب الدسّ الذي ينفث به أعداء الإسلام . .

هذا عدا عن تحريك الهمم ، وإثارة العزائم ، وتصعيد الطاقات . . في اتجاه الشباب نحو الإسلام ، والعمل الدائب الصّبور لإعزاز دين اللّه ، ودفع عجلة الصحوة الإسلاميّة إلى الأمام ! ! .

هل عرفنا الوسائل التي تنمي الصحوة ، وتوسّع من دائرتها ، وتزيد من انتشارها . . ؟ وهل أدركنا العوامل التي تهيب لكي تنطلق نحو مستقبل أفضل ، وغدٍ بسّام ، وحياة إسلاميّة رائدة . . ؟

* * *

ز- ما هو واجب المسلم نحوها ؟

لاشك أن اللّه عز وجل أوجب على المسلمين عامة ، والشباب المسلم خاصة أن ينهضوا بمسؤولياتهم كاملة في احتضان الصحوة ، والمحافظة عليها ، والعمل الدائب على انتشارها وامتدادها . . لنصل في نهاية المطاف إلى أفضل الثّمرات . . وأحسن النتائج في بناء الدولة للإسلام ، واستعادة العزّة والأمجاد للمسلمين .

وهذا لا يتأتّى إلّا أن يضعوا في حسبانهم ، ويسيروا في خطواتهم ، ويلحظوا بعمق تفكيرهم هذه المعاني التي سوف نأتي على ذكرها ، ونفصّل بعض التفصيل فيها .

وهي مرتّبة كما يلي :

أولاً – على شباب الإسلام في كل مكان أن يدركوا جيدًا أن أعداء الإسلام في الخارج والداخل لا يفترون ولا يكلّون في قمع الصّحوة الإسلامية ، وفي إجهاضها وإخماد جذوتها ، وفي ملاحقة شبابها ورجالها . . ذلك لأنهم تعلّموا من عبر التاريخ أن هذا الإسلام العظيم إذا أتيح له مرة ثانية أن يطل برأسه على الدنيا بسمو مبادئه ، وشمول تشريعاته ، وعالميّة دعوته ، ومقومات عطائه . . وإذا أصبح للمسلمين دولة قائمة ، وخلافة راشدة ، وسيادة رائدة . . منها ينطلقون ، وفي ظلها يعملون ، وتحت إمرتها ينتشرون ويتوسعون . . فلابدّ وأنّ زمام العالم كلّه سيصير في أيديهم ، بل تصبح البشريّة بأسرها تحت حكمهم وقيادتهم . . بل ولابد أن يقف الإسلام على رجليه على جبهة الزمن بشموخه وعظمته وإشعاعه . . ليقول للدنيا : جئتكم لأقوم بدوري في الإنقاذ ، ورسالتي في الهداية والعطاء . . فاعرفوا قدري ، واقبلوا هديي ، وخذوا بتعاليم ربّي ! !

ومما يؤكد – يا شباب – أن أعداء الإسلام تعلّموا من التاريخ أن الإسلام بحاكميته وهديه ومقومات قوته إذا أطلّ . . على الدنيا من جديد عادت للمسلمين وحدتهم وعزتهم وخلافتهم ومركزهم القيادي والسياسي تحت الشمس . . **مما يؤكد هذا** : أن أحد نواب الإنكليز احتج على وزير خارجية إنكلترا ((**كَرَزون**)) في مجلس العموم البريطاني لاعترافه باستقلال تركيا في معاهدة ((**لوزان**)) سنة

١٩٢٢ م ، فأجابه الوزير على الفور : (الحقيقة أن تركيا قد قُضي عليها ، ولن تقوم لها قائمة ، لأننا قضينا على القوة المعنويّة فيها : ((الخلافة والإسلام))) .

إذن فإنّ أعداء الإسلام يعلمون أن القوة الكامنة في المسلمين متمثّلة في شيئين : الخلافة والإسلام .

* **ومما يستشهد به في هذا المجال ما قاله ((غلادستون))** في مجلس العموم البريطاني وقد رفع المصحف أمام النواب وقال قولته الحاقدة : ((ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربّة السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)) .

فمن هذا القول يدرك أعداء الإسلام أن القرآن مصدر قوة وعزة للمسلمين ما داموا يسيرون على هديه ، ويعملون بمقتضى أحكامه .

* **ومما يصرح به الأعداء** في الكشف عن معالم القوة في المسلمين ما قاله المُبشر ((**لوروانس براون**)) : ((إذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرّقين فإنّهم يظلّون بلا وزن ولا تأثير)) . . من هنا يتّضح أن أعداء الإسلام يعلمون جيدًا أن الوحدة هي رمز قوة المسلمين ، وعنوان وجودهم وريادتهم القياديّة والسياسية في العالم .

* ومما أعلنه ((**غلاد دستون**)) رئيس وزراء إنجلترا في إحدى خطبه : (إن هناك أربع عقبات أمامنا للقضاء على الإسلام : **المصحف . . والكعبة ، والأزهر ، وصلاة الجمعة**) .

ومن هنا نعلم أن أعداء الإسلام قد أدركوا بشكل لا يقبل الجدل أن مصادر القوّة في المسلمين تتمثل في أربع :

- **في المصحف** : الذي يوحّد فكر المسلمين وأنظمتهم . .
- **في الكعبة** : التي تمثل وحدة المسلمين الروحية ورابطتهم الأخويّة . . .
- **في الأزهر** : الذي يمثّل تربية المسلمين على العلم والدعوة والجهاد في سبيل الله . . .
- **في صلاة الجمعة** : التي هي مصدر التوعية في المسلمين ومركز إشعاع لهدايتهم وانطلاقتهم . . .

* ومما ذكر القس ((زويمر)) [1] في مؤتمر المبشّرين في القدس عام ١٩٣٥ م : (لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتَيْ آسيا وأفريقية الواسعتين ، وبثّ في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه . . فأصبحوا كسلسلة جبال تناطح السّحاب ، وتطاول السّماء . .) .

ومن هنا نستنتج أن أعداء الإسلام عرفوا يقينًا أن العامل الأكبر ، والسّر الأعظم في قوة انتشار الإسلام وامتداده في العالم **هو عقيدة التوحيد ومبادئ الإسلام** . .

لذا فهم لا يألون جهدًا في مؤامراتهم ، وتنفيذ مخططاتهم للنيل منها ، والتشكيك فيها . . وهم دائبون على ذلك ومستمرون لإخراج المسلم من الإسلام ، وإدخاله في النصرانية أو الشّرك ، أو الإلحاد . .

والذي أريد أن أخلص إليه يا شباب :

أن أعداء الإسلام من شيوعيّين وصليبيين ومستعمرين وماسونيّين ويهود مجرمين . . يقفون من صحوتكم الإسلاميّة ، وحركاتكم الدعويّة موقف التآمر والعداء لإجهاض الصحوة ، واستئصال الدعوة ، وإخماد الجهاد . . حتى لا يرتفع للمسلمين رأس ، ولا تتحقق لهم وحدة ، ولا يقوم لهم في العالم كيان . . ولكن إن شاء اللّه بوعيكم وحذركم وحكمتكم واستمراريّتكم في العمل الإسلامي . . فستحبطون بعون اللّه كيدهم ، وتفضحون تآمرهم ، وتبرهنون لهم أن العزّة الإسلاميّ ة ، والأمجاد السياسية ، والاحتكام إلى الشريعة الرّبانية . . ستعود بإذن اللّه إلى الدنيا من جديد برغم المحاربة والتآمر والعداء . . واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ثانيًا - على الشباب الإسلامي حين يأخذون مواقعهم في العمل الدعوي ، ويقومون بدورهم في التبليغ والتوعية والإصلاح . . أن يعطوا لمن يدعونهم ، ولكل من يجتمعون **معهم القدوة الصالحة في**

---

[1] للقسّ الصليبي الحاقد أقوال أخرى تسلّط الأضواء على أعضاء المؤتمر في الوسائل التي يجب أن ينتهجها المبشّرون في إخراج المسلم من الإسلام ، وإدخاله في النصرانية .. وقد ذكرناها جملة في كل ما ألفناه من كتب عن الشباب .

التطبيق ، والأسوة الحسنة في الأخلاق . . بل ينبغي حين ينظر الناس إليهم ، ويسمعون منهم ، ويتلقّون عنهم . . أن يروا الإسلام متجسدًا في أخذهم وعطائهم ، وبيعهم وشرائهم ، وسلوكهم وتعاملهم ، وصدقهم وأمانتهم وسفرهم وحضرهم ، وسائر تصرفاتهم اليومية وعلائقهم الاجتماعية . . :

ولاشك أن الشباب إذا نهجوا في مواقفهم الدعويّة هذا المنهج ، وسلكوا في انطلاقتهم الإصلاحيّة هذا المسلك . . فإن تأثيرهم في الناس أبلغ ، واستجابة المدعوّين لهم أعظم ، وقطفهم لثمرات علمهم وسعيهم أسرع . . بل يكونون دائما محلّ ثقة المجتمع ، ومعقد آماله ، ومحطّ أنظاره ، ومهوى أفئدته نحو العزة والرّفعة ، والسؤدد والمجد العظيم . . ويا خيبة الشباب الذين ينزلون ميدان الدعوة ، وحلبة العمل الإسلامي وقد خالفت أفعالهم أقوالهم ، وناقضت سلوكيّاتهم دعوتهم . . فياخيبتهم حين يرون النّاس قد صدّوا عنهم ، ونفروا منهم ، وانتقدوا مواقفهم . . بل إن استمر الشباب الدعوي في مخالفة القول للفعل ، وتمادوا في تناقض الدعوة مع السّلوك . . فإنهم يتعرضون لمقت اللّه ، ولا يأمنون يوم العرض الأكبر من عذابه المهين . .

أما أنهم يتعرضون لمقت اللّه فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٣) .

وأما أنهم لا يأمنون من عذابه يوم العرض الأكبر فلما روى الشيخان عن أسامة رضي اللّه عنه أنه قال : سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول : ((يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه ؟ .

وكان السلف الصالح – يا شباب – يتحرجون كل التحرج من أن يتحدّثوا إلى الناس ، أو أن يدعوهم إلى معروف ، أو ينهوهم عن المنكر . . مخافة الوقوع في مزالق العجب والرياء ، وفطنة التناقض بين مصداقية القول والعمل . . فهذا مالك ابن دينار – كما روى البيهقي – إذا حدّث الناس بهذا الحديث : ((ما من عبد يخطب خطبَة إلا اللّه سائله عنها يوم القيامة ما أردتَ بها)) بكى رضي اللّه

عنه ، ثم يقول أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ، قال : ما أردت به ؟ فأقول : أنت الشهيد على قلبي لو لم أعلم أنه أحبّ إليك لم أقرأ على اثنين أبدًا ! !

فما على شباب الدعوة الإسلامية في كلّ مكان إلّا أن يعطوا القدوة الصالحة في سلوكيّاتهم الاجتماعية ، وحياتهم التعامليّة . . . . وليحذروا أن يظهروا بمظهر التناقض بين الدعوة والسّلوك ، والقول والعمل . . إن أرادوا أن يدفعوا عجلة الصّحوة الإسلاميّة إلى الأمام ، وأن يحقّقوا لأمتهم السيادة والعزّة في مستقبل الأيام . .

ثالثًا - وعلى شباب الإسلام حين يعملون للإسلام ويجاهدون في سبيله . . أن يُوازنوا **بين مسؤوليتهم في الدعوة وبين مسؤولياتهم الأخرى** التي يجب أن ينهضوا بها ويستمروا فيها . . وفي ذلك يكونون قد أعطوا كل ذي حق حقّه في الحياة دون خلل ولا تغليب ولا إهمال ! ! فمثلًا الشاب المنتمي للدعوة حين يكون طالبًا فيجب أن يوازن بين دراسته وبين دعوته موازنة متلائمة ، فلا يجوز له شرعًا أن يعطي للعمل الدعوي كل جهده ، وسائر وقته . . . . ويهمل جانب التحصيل والدراسة والتكوين العلمي والثقافي . . حتى يؤول به الأمر أن يكون من الضعفاء علميًّا ، أو المتخلفين دراسيًّا . . كما أنه لا يصحّ له بحال أن يعطي للدراسة العلمية ، والتكوين الثقافي . . كل وقته ، وسائر اهتمامه ، ويهمل حق الدعوة إلى الله ، ومسؤولية العمل الإسلامي . . حتى يؤول به الأمر أن يكون من المتخلفين دعويًّا ، والمتسيّبين حركيًّا . . وكأنّه في موقفه هذا غير منتمٍ لدعوة ، وغير مرتبط بجماعة ، وغير مسؤول عن إسلام ، وغير مكترث بأوضاع المسلمين . . نعم **نحن نقول للطالب الشّاب** : ركّز على التحصيل العلمي والتكوين الثقافي . . **في الدرجة الأولى** ما استطعت إلى ذلك سبيلًا ، واسع جهدك لتكون من المتفوقين علميًّا ، والنابغين ثقافيًّا . . وفي ذلك نفع كبير لأمتك ، وتقدّم عظيم لبلادك ، وإعزاز كريم لدعوتك . .

ونقول له أيضًا : اعط للدعوة حقها ما استطعت في أوقات مخصوصة لا تتعارض مع دوامك ، ولا تتنافى مع دراستك . . ولو بحضور جلسة دعويّة في أسبوع ، أو تنفيذ مهمة في تكليف ، أو قيام

بتوعية عابرة في حدود الأهل والقرابة ، ودائرة الصّداقة والزّمالة ، أو إقناع متسيّب في الانتماء إلى الدعوة ، والعمل للإسلام . .

وتكون في ذلك – أخي الشاب – قد وازنت بين دعوتك ودراستك ، ووفقت بين الإعداد العلمي والعمل الإسلامي . . واللّه سبحانه دائمًا مع العاملين المخلصين .

فما عليكم – يا شباب الإسلام – إلا أن تعطوا القدوة الصالحة في التوازن في أداء الحقوق ، وفي التوفيق بين مصلحة الدراسة ومصلحة الدعوة . . لتبقوا دائمًا النموذج الصّالح الحيّ الذي تتوجّه إليه الأنظار والآمال . .

رابعًا : ومن واجبات شباب الإسلام في تنمية الصحوة وإزدهار الدعوة . . **أن تكون الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسلوك الأسلوب اللّين والترفّق والمحاسنة** . . انطلاقًا من مبدأ اللين والترفق الذي أمر به القرآن ، وأرشد إليه الرسول عليه الصلاة والسلام . .

فالقرآن الكريم أمر كل من يتصدى للعمل الإسلامي ويدعو إلى اللّه عز وجل : أن يدعو غيره بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل الغير بالتي هي أحسن . . قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) .

كما أنه أثنى على نبيه عليه الصلاة والسلام في كونه سلك مع أصحابه بعد مخالفتهم وفشلهم ، وظهور المشركين عليهم في أُحد سبيل اللين والترفق ليظلوا ثابتين على الحقّ ، واثقين بالنبوّة ، مؤمنين بالإسلام. قال جلّ جلاله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

والنبي عليه الصلاة والسلام قد أكد على جانب الرفق ، وأرشد إليه ، وحض في أكثر من حديث عليه : روى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه ولا ينزع من شيء إلّا شانه)) .

وفي رواية أخرى لمسلم : ((إن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه)) .

ويحضرني – يا شباب – هذه القصة التي رواها التاريخ عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور : دخل واعظ على أبي جعفر فأغلظ عليه الكلام ، فقال له أبو جعفر : يا هذا ارفق بي أرسل اللّه سبحانه من هو خير منك إلى من هو شرّ مني ، أرسل اللّه سبحانه موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما : (فقولا له قولًا ليّنًا لعلّه يتذكّر أو يخشى) .

فخجل الرجل على ما بدر منه ، وعلم أنّه لم يكن أفضل من موسى وهارون عليهما السلام ، وأن أبا جعفر لم يكن شرًّا من فرعون ! !

فمن الذي أوردناه – يا شباب : يتبين أن تحلّيكم بالرفق واللّين والمحاسنة . . هو من أهم العوامل في استجابة المدعوّين لدعوتكم ، وفي ثقتهم بكم ، ومحبتهم لكم ، وأخذهم عنكم . . بل هو من أعظم الأسس في تعزيز القاعدة الصّلبة ، وفي دفع عجلة الصحوة ، وفي إقبال الناس على الإسلام . .

فما عليكم إلا أن تسلكوا هذا المسلك ، وتسيروا في هذا الطريق . . إن أردتم لأمّتكم العزة ، ولإسلامكم الانتشار ولبلادكم التقدّم والازدهار . .

خامسًا – ومن القضايا التي يجب أن تدركوها جيّدا لتحقيق وحدة الصف ، وتماسك بناء الجماعة ، ودفع عجلة الصحوة ، واطراد مسيرة الدعوة . . **هو تجنّبكم الخلافات الفقهية ، والإثارات المذهبيّة** حين تقومون بمهمّة الدعوة إلى اللّه ، وتأخذون مواقعكم في ميدان التوعية والإصلاح وشدّ الناس إلى الإسلام . . وفي ذلك ضمان لوحدة الصفّ الإسلامي ، وعامل لتماسك بناء الأمة الواحدة ، ذلك لأن المجمع عليه عند أهل العلم : **أن المنكر لا يكون منكرًا إلا إذا أُجمع على إنكاره ، أما إذا كان محلّ خلاف بين المتخصّصين من أهل الفقه والاجتهاد فلا يعدّ في الشرع منكرًا .**

فبناءً على هذا لا يجوز شرعًا لمن كان شافعيّ المذهب الذي يتبع مذهبه في عقد اليدين في الصلاة مثلًا . . أن ينكر على من كان مالكي المذهب الذي يتبع مذهبه في إسبال اليدين في الصلاة ،

ومثل ذلك الحنفي المذهب الذي يحلّ في بلد شافعي أو حنبليّ فيجد الناس يرفعون أيديهم عند الركوع ، وعند الرفع منه ، أو يجدهم يقرؤون الفاتحة وراء الإمام ، أو يرفعون أصواتهم بالتأمين ، أو لا يسلّمون إلا بعد أن يفرغ الإمام من تسليمتيه . . فقد يبادر إلى إنكار ما عليه القوم وهو لا يعلم أن هذا مذهبهم الذي يتعبدون الله على أساسه .

فلماذا الإنكار على متّبع المذهب الحقّ وهو يقلّد عالمًا إمامًا في الاجتهاد ، جبلًّا في العلم ، قدوة في الصّلاح ، أية في الذكاء ، مثالًا في الورع . . وقد قالوا قديمًا : ((من قلّد عالمًا لقي الله سالمًا)) .

وفي هذا المجال ينقل المحقّق المقدسي عن الإمام النووي قوله : (إن المختلف فيه لا إنكار فيه ، ولكن إذا ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو مندوب إلى فعله برفق) . . قال المحقّق المقدسي : ((هذا ما قاله النووي ، وهو التحقيق الذي عليه جماهير العلماء من جميع المذاهب)) . . ويقول ((ملا علي القاري)) وكلامه هو أقرب للحق ، وألصق بروح الشريعة : ((لا إنكار في المختلف فيه بناءٌ على أن كلّ مجتهد مصيب ، أو مصيب واحد إلا أن المخطئ غير متعين لنا ، مع أن الإثم موضوع عنه وعمّن تبعه . .)) ويضيف ((القاري)) قائلًا : ((ليس للمجتهد – على الأصلح – أن يحمل الناس على مذهبه سواء كان مجتهدًا أو مقلدًا ، فلم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين)) .

ويقول الإمام ((الغزالي)) في كتابه ((إحياء علوم الدين)) حين تعرّض لتغير المنكر و شروطه : ((. . . أن يكون كون المنكر منكرًا معلومًا بغير اجتهاد ، فكلّ ما هو محلّ لاجتهاد لا حسْبَة فيه (أي لا إنكار فيه))) .

فمن هذه الأقوال وأقوال كثيرة غيرها – يا شباب – يتبين أن لا إنكار أبدًا في الأمور الاجتهادية المختلف فيها كالإنكار على مَنْ يقلّد إمامًا كبيرًا في علمه واجتهاده وورعه تلقّت الأمة الإسلامية فقهه بالقبول جيلًا عن جيل كالأئمة الأربعة ومن سار على نهجهم رضي الله عنهم ورحمهم .

ولا شك أن في اختلاف الأئمة الثقات رحمةً لهذه الأمة ، بل كان هؤلاء الأئمة رحمهم الله لا يعيب بعضهم على بعض ، ولم يحملوا الناس على اتباع مذهبهم . . وإليكم – يا شباب – ما يؤيّد ذلك كما ذكره المحقّق ((العجلوني)) في كتابه ((كشف الخفاء)) :

* يقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ((ما سرّني لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة)) .

* ويقول الإمام ((يحيى بن سعيد)) : ((أهل العلم توسعة ، وما برح المفتون يختلفون ، فيحلّ هذا ويحرّم هذا فلا يعيب هذا على هذا)) .

* قال الخليفة العباسي ((هارون الرشيد)) لمالك بن أنس ((يا أبا عبد الله تكتب هذه الكتب (يعني مؤلفاته الفقهيّة) ، وتفرقها في آفاق الإسلام ، لنحمل الأمة عليها)) .

قال الإمام مالك : ((يا أمير المؤمنين : إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة ، كلّ يتّبع ما صح عنده وكلّ على هدى ، وكلّ يريد الله تعالى)) .

* وذكر ((ابن سعد)) في طبقاته عن ((القاسم بن محمد)) أنه قال : كلّ اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس)) .

فمن هذه الأقوال يتبيّن – يا شباب – أنّ على كلّ من يحمل لواء الدعوء الإسلامية ، ويتصدّى للوعظ والإرشاد . . أن يتركوا الناس وما يتعبّدون به أخذاً عن مذاهب فقهيّة موثوقة معتبرة . . وأن لا يجبروهم على اتباع مذهب معيّن ، وأن لا ينكروا على أحد إلا ما كان متّفقًا على إنكاره . . لأن في ذلك ضماناً لوحدتهم ، واجتماعًا لكلمتهم ، وتوسعة لحلّ مشكلات حياتهم وتضافرًا لجهودهم على درب العزة والنّصر . .

وعلى شباب الدعوة في كلّ مكان أن يعرفوا الشّعار الذي رفعه رائد العمل الإسلامي في العصر الحديث الإمام البنا رحمه الله : ((**نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه**)) فحذار – يا شباب – أن تدخلوا مع الناس في خلافات فقهيّة ، وتعصبات مذهبيّة ، ومجادلات

فرعيّة . . فإنها – واللّه – هي الأداة المزلزلة لكيان الشّعوب ، والحالقة لتألف القلوب ، والممزّقة لوحدة الصفوف ! ! . .

فما أجمل أن ينضوي العاملون للإسلام تحت لواء الوحدة الإسلامية ، وتحت راية الاعتصام بحبل اللّه . . ليظلّوا أوفياء لدعوتهم ، أصفياء في تفاهمهم ، أقوياء أمام عدوّهم . .

فما عليكم – يا شباب الإسلام – إلا أن تتجنبوا في دعوتكم وتحرّككم للعمل في سبيل كلّ ما يؤول إلى فرقة قائمة على الجدل الفقهي ، والتعصب المذهبي . . إن أردتم لدعوتكم الامتداد ، ولإسلامكم الانتصار ، ولأمّتكم التقدّم و الازدهار . .

سادسًا - سبق أن تكلمنا – يا شباب – أن من سلبيّات الصحوة الإسلامية هي أن يتعجل شباب الصحوة النّصر قبل أوانه ، وقبل أن يأخذوا بسننه وأسبابه . . لما يؤول ذلك إلى نتائج وخيمة تضر بالدعوة والدعاة ، وتدمّر البلاد والعباد ، وتستأصل العمل الإسلامي من الأساس . .

ومما ذكرناه كذلك : على شباب الصحوة أن يحذروا كلّ الحذر من أن يتورّطوا بمجابهة أو سلاح . . كما تورّط غيرهم وليقدّروا دائمًا حراجة الموقف ، وطبيعة المرحلة في الإعداد والتربية ، وعدم التصادم مع الحكام . . كما عليهم أن يأخذوا بمراحل ورقة عمل مركزة مرحلة بعد مرحلة . . إن أرادوا لدعوتهم السّلامة ، ولمسيرتهم الاستمرار ، ولإسلامهم الامتداد والانتشار ! ! . . وأريد في هذا المقام – يا شباب – **أن ألفت نظركم إلى شيء آخر** لتعرفوا كيف تحكمون مسيرتكم ، وتصلون إلى غايتكم بلا انفعال ولا ردود فعل ولا استفزاز ! !

أقول يا شباب : إن ضغط الواقع الذي تعيشونه ، وتحدّي السّلطة الذي تواجهونه ينبغي أن لا يفقدكم توازنكم ، وأن تتجاوزوا طبيعة المرحلة التي أنتم ملتزمون بها . . إلى أوضاع صعبة تدمّركم وتدمّر دعوتكم تدميرًا . . وتعلمون – يا شباب – أنكم اليوم في مرحلة الضعف حيث يواجه الشباب المسلم في كثير من بلاد الإسلام من الحكومات الطاغوتيّة اللادينية كلّ ملاحقة ومحاربة واضطهاد . . **فطبيعة المرحلة** تقضي أن تقوموا بدوركم في مجال التوعية والإعداد ، والتكوين والتربية ، وتكثير

القاعدة . . لتنتقلوا – بعد الاستكمال تمامًا – من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة . . وحين تكونون أقوياء في عددكم وعدتكم ، مترابطين في أخوّتكم ووحدتكم ، ملتزمين مبادئ عقيدتكم ودينكم . . فيمكن أن تعلموا عملًا ، وتغيّروا واقعًا ، وتعيدوا لأمتكم أمجاد الإسلام . .

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في مكابدته الشاقة ، وجهاده الطويل مع أعداء اللّه ، **فإنه ركّز في الفترة المكّية** - وهي مرحلة الضعف – على التربية والإعداد ، وحضّ من آمن معه على الصّبر والمصابرة ، وأمر كلّ من كان تحت قيادته أن لا يخضع لسلطان العاطفة ، وأن لا يستكين لمنطق ردود الفعل ، وأن لا يفقد – في غمرة الصّدمات ، وتفاقم الأحداث – عقله وتوازنه . . **وتطبيقًا لهذا المبدأ** – يا شباب – فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه وهو في مكة أن لا يتعرضوا للمشركين بمواجهة هجوميّة أو دفاعيّة ، وأن لا يتحدّوا عدوّهم بمنابذة أو قتال . . عندما استأذنه الأنصار بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية في أن يميلوا على أهل منَى بأسيافهم ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : ((لم نؤمر بذلك)) ، فرجعوا وعادوا إلى المدينة .

أما في الفترة المدنيّة : وهي مرحلة القوة – فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أذن اللّه له بالجهاد سيّر إلى مكة جيشًا ضخمًا كبيرًا ، وذلك بعد أن نقضت قريش صلح الحديبية ، وحين لاحت في الأفق طلائع الجيش الإسلامي استسلمت مكة للعهد الجديد استسلامًا كاملًا ، وأعطت ولاءها وقيادها للنبيصلى الله عليه وسلم فأصبحت العبودية للّه ، والعزة للإسلام والدولة للمسلمين . . .

ومن هنا نعلم - يا شباب أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في الفترة المكّية ، ثم ما فعله في الفترة المدنية هو القدوة العلمية لكل من يعمل للإسلام ، ويسعى جهده في إعزاز دين اللّه .

ومن هنا نستنتج – يا شباب – أنه لا يجوز لشباب الإسلام – وهو في مرحلة الضعف والإعداد – أن يلجأوا إلى استخدام القوّة ، وأن يسلكوا سبيل التحدّي والمجابهة مع الحكومات اللادينية ، حتى لا يتعرضوا لحرب الإبادة ، ومحنة التنكيل ، واستئصال ظاهرة الصّحوة .

أما حين يقوى عودهم ، وتمتدّ قاعدتهم ، وتصل ثمرة سعيهم وتوعيتهم كلّ بيت ، وكلّ حيّ ، وكل بلد ، فيجوز لهم في هذه الحال أن يسيروا في طريق العمل المركّز ، ليصلوا في نهاية الشوط إلى نصر مؤزّر ، وفتح مبين .

وأقولها كلمة صريحة مدوّية أن على الذين يرفعون شعار الثورة في بلاد الإسلام أن يعلموا جيدًا قبل أن ينطلقوا في ميدان المجابهة والمقاومة أن يحسبوا ويقدّروا إذا لم يكن معهم من القواعد الشعبيّة المؤمنة ما يعتمدون عليها ، وإذا لم يكن لديهم من الأرض المحرّرة ما ينطلقون منها ، ويضعون أرجلهم عليها ، إذا لم يكن عندهم من القوة والإمكانيات ، ما يواجهون أعداءهم بها . . وإذا لم يكن لهم من خيار إلا أن يدافعوا عن دينهم وأنفسهم في خضم الملاحقة والاستئصال والتنكيل وتألّب الأعداء .

فحرام عليهم شرعًا أن يتورطوا في المجابهة ، ويورّطوا غيرهم فيها .

وحرام عليهم أن يكونوا سببًا في تيتيم الأطفال ، وترميل النّساء . . وتقتيل الشباب ، وتخريب المدن ، وتشريد العوائل ، واعتقال الآلاف .

وحرام عليهم أن يوقفوا مسيرة الدعوة ، ويقتلوا العمل الإسلامي ، ويمكنوا للإلحاد أن يستشري ويستفحل . . فالمسؤولية كبيرة إن هم تورّطوا ، والحساب عسير إن هم فعلوا ، ومحاسبة التاريخ لهم إن هم تمادوا وفرّطوا . .(وقفوهم إنّهم مسؤولون) ، (فوربّك لنسألنهم أجمعين عمّا كانوا يعملون) .

نعم ، إن أعداء الإسلام – يا شباب – يطمعون أن تخرج الجماعات الإسلاميّة عن خطّها المحدد لها ، ومرحليّة العمل الدعوي الملتزمين بها ، فتتحمس للجهاد ، وتستعجل النّصر أملًا في قطف الثمرة قبل أوانها ، ومحاولة في الانتصار على العدو قبل الأخذ بسنن النصر وأسبابه ، فتتّخذ الحكومات اللادينيّة من ذلك ذريعة للبطش والتنكيل ينتهي بسحق العاملين للإسلام واستئصال دعوتهم ، وتدمير شبابهم ، هذا عدا عن النتائج السلبيّة التي يتركها التعجل والتهوّر . . على مصير الجماعات الإسلامية ، والحيلولة دون غايتها ، وتفشيل خططها المستقبليّة ، وأهدافها البعيدة .

(إن ضغط الواقع ، وتحكم الطّغاة – يا شباب – ينبغي أن لا يسوق الحركة الإسلامية ، أو بعض المتعجلين بالنصر من شبابها . . إلى الحلّ الخطأ ، والنتيجة المرّة ، ومهما طال انتظار الحلّ المركّز ، وتنفيذ المراحل الإيجابيّة في الوصول إلى النصر . . فإنه هو في الحقيقة عين الصّواب والحكمة .

وطول الزمن لا يفقد الحلّ الصحيح المركّز أهمّيته وإيجابيته . . وقصر الزّمن لا يعطي العمل المتهوّر المدمّر صفة الحق والصّواب .

إن الحل المركّز والمراحل الإيجابية في طبيعة العمل ومنطقيته مع المعاناة وضغط الواقع والشدّة ، والتذرع بالصبر والمصابرة على طريق المحنة ، والسير في مجالات التبليغ والدعوة بالحكمة الموعظة الحسنة ، وحشد الطَّاقات في كافّة الشعب وفئاته ، **هو من أهم ما ينبغي أن تحرص عليه الحركات الإسلامية** في شتى البلاد ، وسائر الأقطار ، وهو الذي يوجد في الأمة القاعدة الشعبيّة الصّلبة التي على يديها يقوم بناء الدولة الإسلاميّة ، وبجهودها ومثابرتها يتحقّق في الشعوب المسلمة عزّ الإسلام .

وحين يصل المسلمون إلى مرحلة القاعدة الشعبيّة الصّلبة ، وتمتدّ حركتهم في الجموع الزّاخرة من أبناء أمّة الإسلام ، فعندئذ يرجى للمسلمين نصر حين يخوضون غمار الحرب ، ويركبون صهوة الجهاد ، ولاشك أن الأمّة الإسلاميّة ستدفع الثمن غاليًا من الضحايا والدماء والأشلاء ، بل في هذه المرحلة تحلو الفدائيّة ، ويطيب الاستشهاد ، ولكن سيجد المسلمون بعون اللّه تعالى ثمرة جهادهم وفدائيتهم واستشهادهم ، وذلك حين يرون بأمّ أعينهم عزّ الإسلام سامقًا ، ودولة المسلمين قائمة [1] أما أن يخوض شباب الدعوة المعارك ببضع عشرات بلا هدف ، ويسقطوا في ميادين الشرف بلا ثمن ، فهذا هو – واللّه – هو التهوّر بذاته ، وإلقاء النفس في التهلكة بعينه ، وضرب الحركات الإسلامية من قواعدها ، واستئصال مسيرة الدعوة إلى اللّه من جذورها ، والتمكين لقوى البغي والعدوان لأن يعيشوا في الأرض بغيًا وفسادًا ، وأن يعملوا سيوفهم في رقاب العاملين للإسلام سحقًا وتنكيلًا . . ألا فليتدبّر شباب

---

[1] المجاهدون الأفغان اليوم هم النموذج الحيّ في إعطاء الصورة الحقيقيّ ة عن الثورة الإسلامية الشعبية التي ضمّت تحت لوائها جميع فئات الشعب وقد صمدت واستبسلت أمام الحكم الشيوعي ، والغزو الروسي ، وسوف تبقى صامدة مستبسلة إلى أن يأذن اللّه لها بنصر مؤزّر، وفتح مبين .

الإسلام مسيرتهم ، وليحكموا سفينتهم ، وليُحدوا من غُلُواء تعجّلهم وتحمّسهم وليعرفوا كيف يبدأون ، وكيف ينتهون ؟ ولينظروا إلى أيّ مصير ينقلبون ؟

فإن عرفوا ذلك وفعلوه فاللّه سبحانه لن يترهم أعمالهم ، ولن يضيّع جهودهم ، ولن يخيّب مسعاهم ، وهو معهم إن أخلصوا النية ، وأحكموا المسيرة وأخذوا بالسّنن والأسباب . .)[٢] .

فما عليكم – ياشباب – بعد الذي فصّلنا فيه وبيناه . . إلا أن تسيروا في طريق العمل الإسلامي على درب الجهاد والنصر بخطى محكمة ، وخطّة حكيمة ، وورقة عمل مدروسة ، فإن سلكتم هذا المسلك – يا شباب – فستكونوا حقًّا قد قدّرتُم طبيعة الموقف ، وسبرتُم غور الحقيقة ، وقستم أبعاد الواقع وسرتم باتّزان مع منطقية الظّروف والأحوال .

فحذار – يا شباب – من الحماس والتهوّر والاندفاع وأنتم ما زلتم بعدُ في مرحلة الضعف والإعداد ، وحذار من الاستفزاز والتحدي واستخدام القوة ، قبل الأخذ بسُنن النَصر ، وتكامل مراحله وأسبابه .

فإن فعلتم ذلك – يا شباب – فإنّكم تسيرون على طريق العمل الإسلامي في مراحل متدرّجة محكمة مأمونة موصلة بتوفيق اللّه إلى عزّ تليد ، ومجد أغر ، وكيان مرموق ، واللّه مع العاملين المخلصين.

* * *

[٢] من كتاب ((الشباب المسلم في مواجهة التحديّات)) للمؤلف ، من ص ٢٧٥ إلى ص : ٢٨١ مع بعض التصرفات والاختصار .

٣- وأخيرًا اسمعوها يا شباب :

اسمعوا مني هذه الحقيقة ، وتأمّلوها جيدًا ، لتعلموا ماذا أقصد من ورائها ؟

نعم ، قد تسيرون – يا شباب – في طريق العمل الحكيم المركّز ، وفي مراحل الدعوة المحكمة المأمونة ، وتأخذون بمبدأ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة بلا استفزاز لحكم ، ولا مجابهة لنظام ، ولا استثارة لأحد ، ومع كلّ هذه الاحتياط ات التي تحتاطونها ، وكلّ التحفظات التي تنشدونها ، فالعدوّ في الداخل لا يكف عن الكيد لكم ، والتآمر عليكم ، وربما يلفّقون من الاتهامات ، ويصطنعون المبرّرات ما يتخذونه ذريعة لسحق دعوتكم ، وملاحقة حركتكم ،والتّنكيل برجالكم .

فماذا أنتم فاعلون ؟

أقول يا شباب : ما دمتم في مرحلة الضعف والقلة ، وفي طور الإعداد والتكوين ، فما عليكم إلا أن تنهجوا نهج الصحابة وهم في المرحلة المكّية حين كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويشكون إليه ما يلقونه من أذى المشركين واضطهادهم ، فكان يبين لهم أن الابتلاء ، والصبر على الأعداء ، والتحلّي بالثبات ، هو من طبيعة الدعوات ، وسُنن الدّاعين إلى دين اللّه ، ذلك لأنهم قلّة في العدد ، ضعفاء في العُدّة ، فليس لهم سلطان ولا قوّة ولا حيلة إلا التحلّي بالصبر .

وإليكم بعض النماذج :

* روى القرطبي في تفسيره : حينما شكا **عياش بن ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر** ، وغيرهم إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مما كانوا يعانونه من أذى القوم وتنكيلهم وإلحاق الضرر بهم . . نزلت هذه الآية : ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت : ١ - ٣) .

* روى البخاري أنه لما اشتد إيذاء قريش **على ضعفاء المؤمنين** جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردًة في ظلّ الكعبة يقولون : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : ((قد كان من قبلكم يؤخذ بالرجل ، فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها ، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصرفه ذلك عن دينه ؛ والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)) .

* وذكرت كتب السّيرة أن **بلالًا** رضي الله عنه المؤمن الصّابر لقي سبيل الدعوة ألوانًا من العذاب ، وأصنافًا من البلاء ، فلما اشتدت عليه وطأة الألم ، ونزلت به الإحن السّود ، ووضعت على بطنه الحجارة الثقيلة في وهج الظهيرة المحرق ، ازداد إيمانًا وتثبيتًا ، وهتف من الأعماق : أحد أحد فرد صمد ، فما ردّه ذلك عن دينه .

وقس على ذلك آل ياسر ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله ابن مسعود ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وعشرات غيرهم ، فإنهم ثبتوا على الحق والإيمان ، وأعدّوا للصّبر والمصابرة نفوسًا مؤمنة لا تجزع أمام أحداث الليالي ، وقلوبًا صامدة لا ترتعد أمام نوازل الأيام . . وحسبهم - رضي الله عنهم أنهم تحقّقوا ثباتًا ومصابرة وتضحية . . بقوله تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

وهذه الظاهرة من الثبات على المبدأ ، والصّبر على الأحداث ، والابتلاء في سبيل الله . . قد اكتسبها الرعيل الأول وتعلّموها **من صاحب القدوة ، ورائد البطولة** رسول الهدى والإنسانية صلوات الله وسلامه عليه حين كان يواجه المشركين في مكة ويدعوهم ، ويتحمل في سبيل الله الكثير من أذاهم .

وما أكثر المحن التي تعرّض لها نبيّ الصبر والمصابرة صلى الله عليه وسلم ، المحن التي مرت في البدء من التصغير من شأنه ، إلى الاتّهام لشخصه إلى الهزء والسخرية ، إلى الضغط العائلي ، إلى المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية ، إلى محاولة الاغتيال ، ومع كل هذا لم ييأس ، ولم يكترث ، ولم يثنوه عن عزمه ،

ولم يصدّوه عن تبليغ رسالته ، بل ظلّ صلوات اللّه وسلامه عليه صابرًا محتسبًا متجلدًا أمام الأحداث ، إلى أن أذن اللّه له بالهجرة ، لينتقل بعدها من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة ، ومن طور الخوف إلى طور الأمن ، ومن ظاهرة الملاحقة إلى جراءة التحدي ، ومن الكف عن القتال إلى الإذن بالجهاد .

والذي أخلص إليه يا شباب :

ما دمتم قلّة في العدد ، وضعفاء في العدّة ، وما دمتم في طور الإعداد والتكوين ، والتوعية والتجميع ، فطبيعة المرحلة تقتضي أن لا تواجهوا حكمًا طاغوتيًا إلحاديًا بسلاح ، وأن لا تتحدّوا عدوًا شرسًا متمكنًا بمواجهة ، بل الواجب عليكم وأنتم في مرحلة الضعف والإعداد – حين تنطلقون في ميادين الدعوة – أن تنطلقوا باتزان وتعقل ، وتخطيط وحكمة ، وذلك بورقة عمل مستتبعة الحلقات ، مستكملة المراحل ، إلى أن يأذن اللّه لكم بنصر مؤزّر ، وفتح مبين .

نعم أقول لكم - يا شباب - : لا تتمنوا لقاء العدوّ ، ولكن إذا لقيكم بملاحقة ، أو استفزاز ، أو أذى ، فعليكم أن تصبروا وتثبتوا وتتجلّدوا ، تأسّيا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام قبل أن يؤذن لهم الهجرة ، ويُشرع لهم الجهاد ، اللهم إلا إذا واجهكم بقتل ، وأغار عليكم باستئصال ، فعندئذ تجيز لكم الشريعة وأنتم على هذه الحال أن تدافعوا عن أنفسكم ، وتُواجهو ا عدوّكم لدفع القتل عنكم ، وردّ المعتدي من أن ينال منكم .

إذا لم يكن إلا الأسنةُ مركبًا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وإلى هذا – يا شباب – أرشد نبيّ الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه هذه الأمّة إلى التحقّق بهذه المعاني ، والعمل على هذه المبادئ .

روى الشيخان عنه صلوات اللّه وسلامه عليه أنه قال ((يا أيها النّاس لا تتمنّوا لقاء العدو ، واسألوا اللّه العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيّوف)) .

فواجبكم الأمثل تجاه الصحوة يا شباب يتلخص في النقاط التّالية :

* في وعيكم ومثابرتكم على درب الدعوة لتحبطوا كيد أعداء الإسلام ومخطّطاتهم في محاربة الإسلام.

* في إعطائكم القدوة الصالحة في أقوالكم وأفعالكم لدفع الدعوة الإسلامية إلى الأمام .

* في توازنكم بين مسئولية الدعوة والمسئوليات الأخرى لتؤدّوا الحقوق كلها خير أداء .

* في انتهاجكم أسلوب اللين والمحاسنة في دعوة الناس إلى الخير هو من أعظم أسس التوفيق والنجاح .

* في تجنّبكم الخلافات الفقهيّة ، والإثارات المذهبية ، هو من أكبر العوامل في نشر المحبة والتّفاهم والصّفاء .

* في استكمالكم أسباب النّصر ، وأخذكم بسننه ، هو العامل الأكبر في انتصاركم على الأعداء .

* وأخيراً في صبركم على المحنة ، وتجلّدكم أمام الأحداث وأنتم في مرحلة الضعف هو من التأسّي بالرسول عليه الصّلاة والسّلام .

* * *

٤ - وفي الختام يا شباب :

بعد الذي فصّلنا فيه وبيناه ، فقد وضح لكم الطريق وبان المنهج ، وظهرت أمام الأعين معالم الحقيقة ، وأدركتم جيدًا كيف تبدؤون ؟ وعرفتم المراحل الإيجابيّة التي عليها تسيرون ، وتراءت لكم العقبات التي على دربها تتعثّرون .

فابدؤوا بالمسيرة الدعويّة على بركة اللّه .

وسيروا على المراحل مرحلة بعد مرحلة .

وتغلّبوا على العقبات وذلّلوها عقبة بعد عقبة .

فآن لكم – يا شباب – أن تشمروا عن ساعد الجدّ والعمل ، وأن تنفضوا عن كواهلكم غبار التّواني والكسل ، وآن لكم أن تنطلقوا نحو المعالي بهمم عالية ، وعزائم متينة ، ونفس راضية أبيّة ، وروح قويّة وثابة ، وتطلّع إلى المستقبل بابتسامة أمل ، ونظرة تفاؤل ، ويقين النصر .

أتدرون يا شباب السّر الذي يوصلكم إلى النصر ؟

(هو التحلّي بالإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع ولا يلين ، وبالإخلاص الصادق الذي لا يعرف المصانعة ولا المراءاة وبالعزيمة المتينة التي لا تعرف الخوف ولا الوجل ، وبالعمل الدّائب الذي لا يعرف الخَوَر ولا الكلل ، وبالتضحية الغالية التي لا تعرف سوى النصر أو الإعذار إلى اللّه ، وفي الحقيقة : إن هذه الصفات الخمس هي من خصائص الرجال ، مزايا الشباب الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، ولا يخافون في اللّه لومة لائم ؛ لأن أساس الإيمان – كما يقول الإمام البنّا – : القلب الذكي ، وأساس الإخلاص الفؤاد النّقيّ ، وأساس العزيمة الشّعور القويّ ، وأساس العمل الإرادة الفتيّة ، وأساس التّضحية العقيدة الرّاسخة ، وهذه الصّفات كلّها لا تجتمع أشد ما تجتمع إلا في شباب آمنوا بربّهم فزادهم هدًى .

ومن هنا كان الشباب المؤمن قديمًا وحديثًا في كل مرحلة من مراحل التّاريخ عماد نهضة الأمّة الإسلامية ، وسر قوتها ، ومبعث عزّتها وكرامتها ، وحامل لوائها إلى المجد ، وقائد جحافلها إلى النصر . .) [1]

أنّ انطلاقة الشّباب على درب الدعوة والنصر ، ومسيرتهم على طريق العمل والجهاد هي في حقيقتها القوّة الفعّالة التي تصنع الخوارق والأعاجيب ، بل تحقق أهدافًا من بناء المجد والكرامة يعجز عن بلوغها الضّعاف المهازيل ، والمعوّقين اليائسين .

لأن الشباب – كما ألمحنا – طاقة جبارة ممتلئة إيمانًا ونشاطًا وحيويّة . . هذه الطاقة إن أُحكمت وُوجّهت تستطيع أن تقرّر مصاير الشّعوب ، فترفعها إلى أعلى درجات المجد ، وتأخذ بها نحو مصافّ الأمم الرقية .

وحين نرى أمّة إسلامية ارتفعت رايتها على كلّ الرايات ، وتعالت ببنائها الشّامخ على كلّ الشعوب ، وخرجت بهديها ومبادئها إلى الدنيا شرقًا وغربًا ، وقطعت أشواطًا كبيرة من العلم والحضارة والمعارف الإنسانية ، ونجد وراء ذلك كلّه فتية أمنوا بربّهم ، وشبابًا انطلقوا في مسيرة دعوتهم ، ورجالًا حملوا إلى العالم رسالة الإسلام . .

وإن نسينا فلا ننسى **دور المرأة المسلمة فتاة أو أُمًّا** في مساهمتها الفعّالة في مجال العمل الإسلامي ، ولا شك أنّهنّ إذا أخذن موقعهن في التبليغ والإصلاح ، والإنقاذ والهداية ، فإن الدعوة تمتد وتنتشر ، والصّحوة تنمو وتنتعش ، ويكون للإسلام في مستقبل الأيام شأن وأيّ شأن . . نعم ، المرأة المسلمة كفتاة إن قامت بدورها بتبليغها الدّعويّ ، وبنشاطها الإصلاحي ، فإنها تستطيع أن تنقذ الكثير والكثير من بنات جنسها المتحلّلات المائعات الشّاردات .

وكذلك المرأة **كأُمّ** إن قامت بدورها في تربية الجيل إسلاميًّا وجهاديًّا وإعداده تربويًّا وعلميًّا فإنها تستطيع أن تخرج للدنيا أبطالًا مجاهدين ، وعلماء عاملين ، ونبغاء في الحضارة خالدين . . كما أنجبت

---

[1] من كتاب ((حتى يعلم الشباب)) للمؤلف ص : ٦- ٧ مع بعض التصرّف والاختصار .

أمهاتنا – **في النّبوغ القيادي** : عليًا ، وخالدًا ، وأسامة ، وقطز ، وصلاح الدين ، **وفي النبوغ التشريعي :** أبا حنيفة ، ومالكًا ، والشّافعي ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وفي النبوغ الحضاري : الرازي ، والإدريسي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والخوارزمي ، ومئات غيرهم ممن أحدثوا في مجال الفتوح والسياسة ، وميدان الفكر والعلم ، وعالم المدنية والحضارة ، أثرًا كبيرًا وأيّ تأثير ، تحوّلًا مشهودًا رائعًا في مجالات الإصلاح والتغيير .

ولايزال التّاريخ يتغنّى بذكرهم ومآثرهم ، والأجيال ترتشف من معين علومهم ومعارفهم ، والمنصفون في العالم يشيدون بأثرهم الأكبر على النهضة الحديثة على مدى الزمان والأيام .

* * *

٥ - وهكذا يا شباب :

فإنّ أمّة الإسلام حين تساهم بشيبها وشبابها ، ورجالها ونسائها ، وعمالها ومثقفيها في بناء عزة الإسلام ، واستعادة التاريخ والأمجاد ، وحين تسير على درب الدعوة والعمل الإسلامي بخطوات موزونة ، ومراحل إيجابيّة ، وورقة عمل مدروسة ، فإنّ النصر بإذن اللّه حليفها ، والتمكين للعزة الإسلامية في الأرض سوف تجده ماثلًا أمامها ، واللّه سبحانه دائمًا مع العاملين المخلصين ، والدعاة الصادقين ، والمجاهدين المتفائلين الذين لا يتقهقرون إذا سار الرّكب ، ولا ييأسون إذا هبّت رياح الأعاصير ، ولا يتغيرون إذا لاحت بوارق المغريات ، ولا يخافون إذا فزع الناس . .

فأحكموا – يا من يهمّكم عز الإسلام – أمركم ، وأجمعوا شتاتكم ، وربّوا على الإيمان والتقوى نفوسكم ، ووحّدوا على الحقّ كلمتكم ، ووسّعوا في المجتمعات الإسلامية قاعدتكم ، وعزّزوا في بلاد الإسلام صحوتكم ، وانطلقوا عازمين متفائلين في أداء رسالتكم ، خذوا بسُنن النصر وأسبابه في سائر خطواتكم . . ولن يضيع اللّه عملكم لأنه القائل : (إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم) . . واعلموا أنكم إن تحقّقتم بذلك فأنتم – كما ألمحنا – المنصرون وإن جند اللّه لهم الغالبون (وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون) ، (واللّه غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) .

اللّه أسأل أن يجعلني وإيّاكم ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، وأن يوفقنا جميعًا لإعزاز دينه ، وإعلاء كلمته ، وأن يحيينا أعزّاء ، أو يميتنا شهداء ، إنّه خير مسؤول ، وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين .

والسلام عليكم ورحمة اللّه .

المحاضر :

د . . عبد اللّه ناصح علوان